مصر والأُمة .. وفتنٌ كَقِطَعِ اللَّيل المُظلِمِ !!

التوحيد

بيان بشأن الأحداث الجارية

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٨٥ - السنة الحادية والأربعون - جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ
الثمن جنيهان



هلاك الجبابرة

الوجوه السوداء !!

السُّنّة واستعصاؤها على الحاقدين

سعادة الدارين فى التمسك بالتوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٨٦

جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين. القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦ .

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

الوجوه السوداء

الله الخلاَّق العليم؛ خالق الكريم واللئيم، وخالق الصادقين ذوي القلوب الرحيمة، والكذابين الأضل من البهيمة، يقول الله تعالى عن أهل الكذب والنميمة: «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» [البقرة: ١٠]، وقال سبحانه: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ» [الزمر: ٦٠].

ومما قيل في أوصاف الكاذبين:

لا يكذبُ المرءُ إلا مِنْ مَهانَتِه
أو فِعْلِه السُّوءَ أو قِلَّةِ الأدَبِ
لَبَعضُ جِيفَةِ كلْبٍ خَيْرُ رائحةٍ
مِنْ كِذْبَةِ المرءِ في جدٍّ وفي لعبِ

وإعلام النظام السابق الفاسد لا يزال يكذب بالخط العريض، وقد بلغت كذباته الآفاق حاملة للفتنة والنفاق، أعمالهم فاضحة ووجوههم كالحة، يأتون هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

تذكرك أحوالهم وأموالهم بالرجل الذي جاء إلى معاوية رضي الله عنه لما اختار ابنه يزيد لولاية عهده، جاء الرجل فسلَّم عليهما، وقال: يا أمير المؤمنين؛ اعلم انك لو لَمْ تُوَلِّ ابنك أمور المسلمين لضاعت !!

وكان الأحنف جالساً لكنه ساكت، فقال له الرجل: لا تعجب يا أحنف؛ هؤلاء عندهم الكثير من الأموال، قد قفلوا عليها الأقفال، فلستُ أطمع في إخراجها إلا بما سمعتَ (أي من النفاق)، فقال الأحنف: اترك هذا، فإن ذا الوجهين جدير ألا يكون عند الله وجيهًا!!

وقد سُئل أحد الكذابين: هل صدقت قط؟ فقال: أخشى إذا قلتُ: لا، أن أصدق هذه المرة.

التحرير

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد



الآن بالمركز العام
المجلد الجديد لعام ١٤٣٢

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعاد لهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكترونى التالي:
q.tawheed@yahoo.com

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية   مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد



سعادة الدارين في التمسك بالتوحيد

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فإن سائر الناس يلهثون وراء السعادة، غير أنهم يختلفون في الطرق الموصلة إليها، فبعضهم يرى أن السعادة في مال يجمعه، أو منصب يتقلده، أو جاه يحصل عليه، أو قصر يشيّده، وما إلى ذلك.

والأمر ليس كذلك؛ لأن السعادة الحقيقية في تقوى رب البرية، وطاعته، وصدق الإيمان به.. والتقوى المرادة: هي التقوى القائمة على التمسك بكتاب الله وهدي رسول الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم.

وقوامها: التوحيد، والصدق في الأقوال والأعمال، ونتائجها: السعادة في الدارين، وبعض بلاد المسلمين اليوم تمر بأزمات حقيقية لا مخرج منها إلا بعودة صادقة إلى الله تعالى، والتمسك بما جاء من عنده سبحانه، والتضرع والتزلف بين يديه، قال الله تعالى: «فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ٤٣]. أي: هلا رجعوا إلى الله بالتوبة والإنابة والخشية والتضرع عند نزول البأس والشدة بهم، وصدق الله إذ يقول: «فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ» [طه: ١٢٣].

والمراد من اتباع الهدى هنا: اتباع الكتاب والسنة، ومن اتبعهما سلم من الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة قال أبو السعود: «ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: «هداي» مع الإضافة إلى ضميره تعالى، لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه».

وقد ذكر ابن كثير عن ابن عباس أنه قال في معنى الآية: «لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة». [تفسير ابن كثير ٣/٢٣٣].

ويذكر ابن الجوزي رحمه الله تغير الزمان والأحوال بالعباد، ويبين أن السلامة من كل ذلك بتقوى الله على كل حال فيقول: «اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال عز وجل: «وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ» [آل عمران: ١٤٠]»، فتارة فقر وتارة غنى، وتارة عز وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت الأعادي.

فالسعيد من لازم أصلاً واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل، فإن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له باب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه؛ لأن جميع تلك الأحوال تزول وتتغير، والتقوى أصل للسلامة وحارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة، ويوقف على الحدود، ولازم التقوى في كل حال، فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي المرض إلا العافية، هذا نقدها العاجل، والآجل معلوم». [صيد الخاطر: ١٦٤، ١٦٥].

وهذا كلام نفيس يصدقه كتاب الله تعالى: «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» [الطلاق: ٢- ٣]، وهذا المذكور لا يتأتى للعبد إلا إذا حقق التوحيد لله، وبقي على أصل فطرته التي خلقه الله عليها، كما في حديث أبي هريرة، في الصحيحين

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» [متفق عليه]، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » [الروم: ٣٠].

ويقرر ابن تيمية أن الأمن والسرور وغيرهما أمور تتحقق بالتوحيد والإخلاص، فيقول: «والعبد إذا أنعم الله عليه بالتوحيد، فشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه، والإله هو المعبود الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، والتوكل عليه، وسؤاله عما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه - حلاه الله بالأمن والسرور والحبور، والرحمة للخلق، والجهاد في سبيل الله، فهو يجاهد ويرحم، له الصبر والرحمة، قال الله تعالى: «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» [البلد: ١٧]، وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته، وتوكله ويقينه». [مجموع الفتاوى جـ٢٨/٣٥].

وقد تناول الإمام ابن القيم رحمه الله في مواطن من كتبه أنواع السعادة والطرق الموصلة إليها وأهلها المستحقين لها، فقال: «أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة: سعادة خارجية عن ذات الإنسان، بل هي مستعارة له من غيره تزول باسترداد العارية، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها فبينما المرء بها سعيدًا ملحوظا بالعناية مرفوعاً بالأبصار، إذ أصبح في اليوم الواحد أذل من وتد بقاع يشج رأسه، فالسعادة والفرح بهذه كفرح الأقرع بجمة ابن عمه، والجمال بها كجمال المرء بثيابه وزينته. والسعادة الثانية: سعادة في جسمه وبدنه، كصحته واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه، وحسن تركيبه، وصفاء لونه، وقوة أعضائه، فهذه ألصق به من الأولى، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته، فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه، كما قيل:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه، فإن البدن أيضًا عارية للروح وآلة لها ومركب من مراكبها، والسعادة الثالثة: وهي السعادة الحقيقية، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرتها، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال. أما الأولى: فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه، والثانية: فعرضة للزوال والتبدل، والثالثة: التي كلما طال عليها الأمد ازدادت قوة وعلوًا، وإذا عدم المال والجاه، فهي مال العبد وجاهه، وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت السعادتان الأوليان، وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها، فعادت السعادة كلها إلى العلم وما يقتضيه، والله

السعادة الحقيقية في تقوى رب البرية وطاعته ، وصدق الإيمان به، والسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال وهو تقوى الله عز وجل فإن استغنى زانته وإن افتقر فتحت له باب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتُلي حمته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد !!



يوفق من يشاء، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع» [مفتاح دار السعادة ١/١٥٦].

قُلْتُ: وهذا كلام نفيس يبين معنى السعادة الحقة، والطريق الصحيح إلى تحقيق هذه السعادة بعد الإيمان الصحيح هو العمل الصالح والعبودية الحقة لله وحده دون سواه، وقد ربط الله عز وجل بين الإيمان والعمل الصالح في كثير من الإيمان وعلق السعادة بهما. قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [البقرة: ٦٢].

والآية بينت أن ركائز السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إنما تكون بصدق الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح الذي يرضيه، كما أشارت إلى زوال الخوف والحزن عنهم، وقد ذكر ابن كثير فقال في هذه الآية: «لما بيّن تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره، وتعدى في فعل ما لا إذن له فيه وانتهك المحارم، وما أحل بهم من النكال، نبّه تعالى على من أحسن من الأمم السالفة وأطاع، فإن له جزاء الحسنى، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة، كل من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه، كما قال الله تعالى: «أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [يونس: ٦٢]. [تفسير ابن كثير ١/١٥٨].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى أضاف الحياة الطيبة الحسنة للمؤمن العامل بالصالحات، وذلك في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» [النحل: ٩٧]. وقال تعالى: «وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» [هود: ٣]، وقد بينت الآيات أن المحسن يجازى بإحسانه والمسيء بإساءته، ولا يظلم ربك أحدًا، والإيمان إذا باشر القلب وخالطه أكسبه سعادة وفرحًا وسرورًا، ولا يشعر بذلك إلا من ذاق حلاوته، قال الله تعالى: «قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» [يونس: ٥٨].

وقد ذكر ابن جرير أقوالا كثيرة عن الصحابة وغيرهم تفيد أن المراد بالفضل والرحمة القرآن والإسلام، وهدايتنا إلى ذلك، وهذا يبين قيمة مهمة، وهي أن السعادة ليست في متاع دنيوي زائل، وإنما في الإيمان ومقتضياته، وهذا هو الفرح الحقيقي، لا فرح الباطل والغرور بالدنيا ومتاعها، وقد جمع الله للمؤمنين في الآية بين فضله عليهم ورحمته بهم، وهي من أعظم منن الله على عباده، وقد كررها الحق تبارك وتعالى في أكثر من آية في كتابه، كقوله: «وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ

ركائز السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إنما تكون بصدق الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح الذي يرضيه، فالسعادة ليست في متاع دنيوي زائل، وإنما في الإيمان ومقتضياته، وهذا هو الفرح الحقيقي، لا فرح الباطل والغرور بالدنيا ومتاعها !!



عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » [النور: ٢١].

ولابن القيم رحمه الله كلام رائع في أسس السعادة والطرق المؤدية إليها، فقد بين أن معرفة الله والاستغناء به عمن سواه، وإيثار ما يحبه ويرضاه أمور مهمة بها تتحقق السعادة، وفي ذلك يقول: «والإيثار المتعلق بالخالق أجلّ من هذا وأفضل، وهو إيثار رضاه على رضا غيره، وإيثار حبه على حب غيره، وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه، وإيثار الذي له من الخضوع والاستكانة والضراعة والتملق على بذل ذلك لغيره، وكذلك إيثار الطلب منه والسؤال وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره، وعلامة هذا الإيثار شيئان: أحدهما فعل ما يحب الله إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه، والثاني: ترك ما يكرهه إذا كانت النفس تحبه وتهواه، فبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار، ومؤنة هذا الإيثار شديدة لغلبة الأغيار وقوة داعي العادة والطبع، فالمحبة فيه عظيمة والمؤنة فيه شديدة والنفس عنه ضعيفة، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه.

والذي يسهله على العبد أمور: أحدها: أن تكون طبيعته لينة منقادة سلسة، ليست بجافية ولا قاسية، بل تنقاد معه بسهولة، الثاني: أن يكون إيمانه راسخًا ويقينه قويًا، فإن هذا ثمرة الإيمان ونتيجته. الثالث: قوة صبره وثباته، فبهذه الثلاثة الأمور ينهض إلى هذا المقام ويسهل عليه دركه». [طريق الهجرتين وباب السعادتين: ص٣٠١].

ومن أسس السعادة الحقيقية بعد ذلك: الاتباع والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو خير أسوة وقدوة ولا طريق للعبد إلى الرب إلا عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » [الأحزاب: ٢١].

وقد ارتفعت صيحات اليوم من قوم جهلوا قدر نبيهم صلى الله عليه وسلم، وذهبوا إلى التصدي لمن يلزم هديه ويقتفي أثره، وإننا نحذر هؤلاء من فتن كثيرة تصيبهم في أنفسهم وديارهم إذا لم يرجعوا عن ذلك. وقد حذّر الله في كتابه من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم لخطورة ذلك، فقال: « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [النور: ٦٣].

وبهذه الآية احتج الفقهاء على أن الأمر على الوجوب، ووجه ذلك أن الله حذر من مخالفة أمره، وتوعد بالعقاب عليها، وعليه فيجب امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: المراد بالفتنة هنا: القتل، وقيل: الزلازل والأهوال، وقيل: سلطان جائر، وقيل: الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله السلامة والعافية من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأله سبحانه أن يهدينا جميعًا لطريق السعادة في الدارين، والحمد لله رب العالمين.

ارتفعت صيحاتُ اليوم من قوم جهلوا قدر نبيهم صلى الله عليه وسلم، وذهبوا إلى التصدي لمن يلزم هديه ويقتفي أثره، وإننا نحذر هؤلاء من فتن كثيرة تصيبهم في أنفسهم وديارهم إذا لم يرجعوا عن ذلك.



التوحيد

كلمة التحرير

مصر والأمة.. وفتن كقطع الليل المظلم!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله الذي من اعتصم بحبله وفقه وهداه، ومن اعتمد عليه حفظه ووقاه، أحمده سبحانه وأشكره، وأثني عليه وأستغفره وبعدُ:

تمر مصر والأُمة الإسلامية بفتن كقطع الليل المظلم، فتن يندي لها الجبين، وإن من أعظم مداخل أهل الباطل على المسلمين زعزعة الأمن في بلدانهم، فإذا فقدوه انقطعت السبل، وتفرقت الكلمة، وحل الفقر، وانتشرت الأسقام، وسُلبت الأموال والممتلكات، وهُتكت الأعراض، وسُفكت الدماء، فيعم الجهل والخوف، وينشغل الناس عن دينهم، ويظهر أهل الريب والشك، وأرباب البغي والإفساد!!

والفتنة إذا أقبلت عرفها العلماء، فإذا أدبرت عرفها العامة، ولكن بعد فوات الأوان ؛ إذ العلماء هم ورثة الأنبياء.

وما يقع في مصر من أحداث متلاحقة وسريعة يجعل كبد الإنسان ينفطر ألماً على مصر وأهلها والمحاولات الدءوبة من أعداء الإسلام في مصر وخارجها، بإصرار نابع من الحقد والكراهية البغيضة لإفشال المشروع الإسلامي بكل ما أتوا من قوة، منذ ولادة برلمان بأغلبية إسلامية، قد تنقصها بعض الخبرة في مجاراة العلمانيين والليبراليين ممن جيشوا الجيوش وافتعلوا الأزمات وحرضوا على الإضرابات ونشروا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ثم يجيء بعد ذلك انتقال آخر لاختيار الجمعية التأسيسية لصياغة الدستور، مع ما وقع فيه من أخطاء في طريقة الاختيار، التي جاءت بشكل استفز الكثيرين من كل الطوائف، فزاد الحقد على المشروع الإسلامي، ثم ما تلا ذلك من مآسي الترشح للرئاسة، ومحاولات دؤوبة لإقصاء الإسلاميين، وردود أفعال يُخطط لها أعداؤهم؛ ليوقعوا بهم في الفتن ويشعلوا البلاد، وهم لا يريدون لمصر أمناً ولا أماناً ولا ازدهاراً، «فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ» [يوسف: ٦٤]!!

انتخابات الرئاسة.. وشورى العلماء!!

ولقد انشغل الناس في مصر والعالم كله بالمرشحين لرئاسة مصر؛ لأن ما يحدث في مصر

من تغيرات على كل المستويات يتأثر به العالم العربي إذ هي قلب العروبة النابض والعالم الإسلامي، فهي منارة الإسلام بأزهرها وعلمائها ومشايخها، وانشغل بها العالم الخارجي فهي رمانة ميزان المنطقة واستقرارها ، وانشغل بها البعض الآخر ؛ تنفيذا لمؤامرات من يكيدون لها ويحقدون عليها.

وترشح من ترشح في مسرحية أسميناها مولد «سيدي الرئيس»، وبعد غلق باب الترشيح، وما شهدناه من وقائع وأحداث درامية، ومواقف متجددة، صباح مساء، وبدأ الإعلان عن من استكملوا أوراق ترشيحهم مع اشتداد الحرب على الإسلاميين، في كل المناحي، وبدأت الفتن تعصف بمصر وأهلها، ولقد عرف الأعداء أن تقدم الأمة وفخارها، ومبعث أمنها وأمانها واستقرارها مرهون بسلامة عقول أفرادها، ونزاهة أفكار أبنائها، ومدى ارتباطهم بثوابت دينهم، فإذا اطمأن الناس على ما عندهم من أصول وثوابت، وأمنوا على ما لديهم من قيم ومُثل ومبادئ، فقد تحقق لهم الأمن في أسمى صوره، وأجلى معانيه، وأنبل مراميه، وإذا تلوثت أفكارهم بمبادئ وافدة، ومناهج دخيلة، وأفكار منحرفة، وثقافات مستوردة، فقد انتشر الخوف في ديارهم، وحل بين ظهرانيهم ذلك الخوف المعنوي الذي يهدد كيانهم، ويقضي على مقومات بقائهم!!

وتلاقت مخططات أعداء مصر في الخارج، مع أيادي العابثين والمتآمرين في الداخل، في محاولة لكسر مصر وشعبها، تنفيذاً لمخططات إسرائيل وحلفائها في الغرب، بعد زرع الفتن وتنفيذ المؤامرات التي تهدف إلى ضرب الأمن القومي في مقتل، ومحاولات مستميتة لتهميش مصر بعد تنفيذ المؤامرات في ليبيا والسودان، وآخرها تأجيج الفتن وإشعال فتيل الحروب الطويلة في السودان بعد تقسيمها، وتفكيكها بسبب احتلال جيش جنوب السودان لمنطقة «هجليج» النفطية، التي تنتج نحو نصف إنتاج السودان من النفط البالغ ١١٥ ألف برميل يومياً؛ مما يهدد عمق مصر الإستراتيجي .

في ظل هذه الأجواء عقد مجلس شورى العلماء جلسات مطولة، انتهى بعدها إلى تأييد ترشيح الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل لرئاسة الجمهورية، بإجماع أعضاء المجلس الذي يضم نخبة من علماء السلف في مصر؛ لما وجدوه في شخصية الشيخ حازم من مؤهلات لتنفيذ المشروع الإسلامي، والحفاظ على هوية مصر الإسلامية، والحفاظ على شريعة الإسلام الغراء، وتوالت الأحداث بين شد وجذب، فيما نسبوه للشيخ حازم فيما عرف بموضوع الجنسية الأجنبية لوالدته، رحمها الله رحمة واسعة، بين تأكيد غير مؤيد بالأدلة والبراهين، سوى من بعض الادعاءات، من مدع لم يستطع على الملأ أن يُثبت ما ادعاه، وكان لزامًا على المجلس أن يصدر بيانا للمسؤولين في البلاد ممثلاً في الحكومة والمجلس العسكري، واللجنة العليا للانتخابات الرئاسية، وأصدر مجلس شورى العلماء بيانه الذي حمل رقم (٢٠)، متضمنا مناشدته لأنصار الشيخ حازم بالتزام الصبر، والرضا بقضاء الله، مذكرًا بخطاب المولى عزوجل: «وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ» [البقرة: ٢١٦]، مؤكدين على أن وقوع أي عنف أو تخريب أو تدمير أو سب أو قذف ليس من أخلاق طلاب الشريعة والعاملين بها والداعين إليها، ولا يصلح مصادمة قوانين الدولة حتى لا تدخل البلاد في أنفاق مظلمة، فنفسد من حيث أردنا الإصلاح، والله لا يحب الفساد.

كل ما يقع في مصر من أحداث متلاحقة وسريعة يجعل كبد الإنسان ينفطر ألمًا على مصر وأهلها والمحاولات الدءوبة من أعداء الإسلام في مصر وخارجها، بإصرار نابع من الحقد والكراهية البغيضة لإفشال المشروع الإسلامي بكل ما أتوا من قوة

وقد ناشد مجلس «شورى العلماء» في بيانه المسئولين في البلاد إظهار موانع استمرار المبعدين من سباق الرئاسة بجلاء ووضوح لا يقبل الشك أو التأويل، حتى يخرجوا أنفسهم من دائرة الاتهام، بأنهم يسعون بكل السبل والوسائل إلى إقصاء هذا أو ذاك، وحتى لا يستمر الجدل ويعظم الخطر!!

كما أكد المجلس في البيان على هوية الشعب المصري، وأن شعب مصر شعب مسلم يحكمه إسلامه ودينه، وقد أذن الله سبحانه وتعالى لهذا الشعب بالتمكين للحفاظ على هويته وحريته، وأن عقارب الساعة لن تعود إلى الوراء، بإذنه تعالى ورحمته.

كما أكد البيان أن المجلس يناشد أبناء الأمة أن يتبعوا علماءهم ومشايخهم من أهل الحل والعقد، وإلا فالفوضى والمعارضة بغير سلطان وبرهان لا تنتج شرعًا ولا تصلح واقعًا.

المجلس العسكري واللجنة العليا للانتخابات يلتقيان بأعضاء شورى العلماء

وقد طلب المجلس العسكري لقاء مجلس شورى العلماء ضمن اللقاءات التي عقدها مع كل الأطياف، وقال في رده بخصوص أزمة الشيخ حازم، وترشح عمر سليمان في الوقت بدل الضائع: «إنه يقف على مسافة واحدة من كل المرشحين، وأنه لا يكيل بمكيالين في التعامل مع المرشحين». وقد أكد مجلس الشورى على خياره في تأييد الشيخ حازم أبو إسماعيل مرشحًا لرئاسة الجمهورية.

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٧/٤/٢٠١٢م، طلبت اللجنة العليا لانتخابات الرئاسة لقاء مجلس شورى العلماء بمقر اللجنة، ونظرًا لسفر كثير من مشايخ المجلس خارج البلاد ، توجهت اللجنة المكونة من الدكتور جمال المركبي، والشيخ نشأت، والدكتور وسام عبد الوارث، والشيخ جمال عبدالرحمن، وخمسة من كبار المستشارين القانونيين للاطلاع على الأوراق والمستندات التي كونت بها اللجنة أسبابا لرفض الطعن المقدم من الشيخ حازم بعد انتصار محكمة القضاء الإداري له بتأكيد عدم حصول والدته علي الجنسية الأمريكية، مما زاد الشكوك بضلوع أمريكا في تلك الفتنة!!

وقبل كتابة هذه السطور بدقائق كان لقاء المجلس مع المستشارين القانونيين ومنهم : الأستاذ: ممدوح إسماعيل، والأستاذ منتصر الزيات، وغيرهم من الذين اصطحبهم أعضاء المجلس من المؤيدين للشيخ حازم، وقد انتهى اللقاء دون تحقيق نتائج تذكر حسب المتفق عليه من الاطلاع على الأوراق التي بحوزة اللجنة، وفحصها من خلال المستشارين القانونيين، وذلك في محاولة من لجنة الانتخابات لتبرئة موقفها وإثبات المستندات التي بحوزتها والتي على أساسها تم رفض الطعن المقدم من الشيخ حازم، وقد تم الاتصال من قبل اللجنة عن طريق الدكتور وسام عبد الوارث، ثم الدكتور جمال المراكبي، الذي تحدث مع الشيخ حازم، بعد أن قال لهم الشيخ حازم: «إن الاطلاع على الأوراق والمستندات من قبلكم دون وجودي يُعد خيانة». وكان الموقف ناتجًا عن انفعالات المؤيدين للشيخ حازم، مع أن المجلس هو من أيد الشيخ في ترشحه للرئاسة، وهو من تساءل عن دور المجلس العسكري في أزمة الشيخ حازم.

ولكننا مع ما حدث فإننا نناشد إخواننا من المؤيدين لأبو إسماعيل بالتحلي بالصبر، وضبط النفس إلى أقصى الدرجات حتى نفوت الفرصة على المتآمرين والمندسين الذين لا يريدون لمصر خيرا، وينتهزون الفرصة للتشويش على الإسلاميين، وإظهارهم بصورة مشوهة.

حال المسلمين عند الشدائد والكروب!!

إن صروف الليالي وتقلب الأيام يعقبان المرء تبدل أحوال ونزول شدائد، وحلول كرب، فيها من الغموم والهموم ما يستحوذ على صاحبها ويسوؤه في نفسه أو جسده أو عرضه أو ماله أو بلده، فيضيق بها صدره ويلتمس تفريجها وكشف ضرها، فيذكر قول ربه الأعلى سبحانه: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» [الأنعام: ١٧].

وقوله عز شأنه: «قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ» [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

فيستيقن العبد أن الله سبحانه هو المنجي من كل كرب، الكاشف لكل ضر، المغيث لكل ملهوف، فيتوجه إليه بالدعاء متضرعاً مخلصاً خاشعاً خاضعاً مخبتاً متحرياً أوقات الإجابة ؛ امتثالاً لقوله عز وجل: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ» [غافر: ٦٠]، راجيا أن يفرج كربه ويكشف غمه ويذهب همه ويتوسل إليه بما كان يتوسل إليه به نبيه صلى الله عليه وسلم من جوامع الدعاء، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر يقول: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» وصححه الألباني.

وأكرر مناشدتي للجنة القضائية العليا المشرفة على الترشح لانتخابات الرئاسة أن تزيل الشكوك وتمحوها، وأن تعيد الثقة في قضاء مصر الذي نعتز به ونحترمه، فلا نريد أن يسيطر الخوف من خضوعها لضغوط خارجية أو داخلية، فالدنيا زائلة وهناك رب كريم عليم سيحاسب على النقير والقطمير، وسنقف جميعاً أمامه «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، ولتكشف مستنداتها التي أعلنت عنها، وتسمح بالاطلاع عليها، وأن تقبل بإطلاع الطاعن على الأسباب التي أدت لرفض طعنه وليس ذلك بعسير.

لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير

إن عقيدتنا، وهي عقيدة أهل السُّنة والجماعة، تؤكد أن كل ما يقضيه الله ويقدره لعبده ففيه خيرٌ ومصلحة وحكمة، ولو كان ظاهره شرًا، يقول الله تعالى: «وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» [غافر: ٢٠]، «وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» [البقرة: ٢١٦].

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «والخير كله في يديك، والشر ليس إليك» [رواه مسلم].

فإن الله تعالى وتقدَّس منزهٌ في ذاته عن نسبة الشرِّ إليه بوجهٍ من الوجوه، لا في صفاته، ولا في

أفعاله، ولا في أسمائه، وإن دخل الشرُّ في مخلوقاته، وهو سبحانه وتعالى لا يخلق شرًا محضًا من كل وجه، بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة، وإن كان في بعضه شرّ جزئي إضافي، وأما الشرُّ الكلي المطلق من كل وجه، فهو تعالى مُنزّه عنه، وليس إليه.

وإن التخوين والاتهام لإخوة لنا في العقيدة والمنهج، ممن أعلنوا عن بيعتهم وتأييدهم قبل أن يُعلنها الآخرون لهو أمرٌ صادمٌ ومريرٌ على النفس، نسأل الله السلامة والعافية من كل مكروه، فاللهم اجعل محبتنا في الله خالصة، والله أكبر في قلوب المؤمنين من الدنيا وزينتها، وشهواتها وزخرفها، عرفوا حقيقتها ومقدارها، فأعطوا كلا حقه، فقدموا الباقي على الفاني، والتام الصافي الخالص من الأكدار، على الناقص المنغّص لا تمتد أعْيُنهم إلى ما متّع الله به أقوامًا من زينة الدنيا، فالآخرة في عيونهم خير وأبقى، والخيرة ما اختاره الله لهم، يرون في المصيبة والبلاء تكفير الخطايا والسيئات، وزيادة الحسنات والدرجات، فهم في الضراء صابرون راضون، وهم في السراء متواضعون شاكرون، وعلى ربهم يتوكلون.

قانون النصر والتمكين

قال الله تعالى: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ» [النور: ٥٥].

وفي هذه الآية شرط النصر والتمكين الذي يبحث عنه المسلمون، وهو في متناول أيديهم، وبين دفتي كتابهم المنزل منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، فالله سبحانه وتعالى يعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وحققوا الإيمان في قلوبهم، وأتبعوا الإيمان بالعمل الصالح، يَعدهم وهو سبحانه لا يخلف الميعاد بأن يستخلفهم في الأرض، ويُمكن لهم دينهم، ويؤمنهم بعد أن كانوا خائفين.

ولقد تحقق هذا الوعد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين؛ لأن الأمة كانت تسير على منهج الله وسُنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحقق النصر بعد ذلك في عصر كان المسلمون

يا عبد الله، استدرك من العمر ذاهبًا، ودع اللهو جانبًا، وقم في الدجى مناديًا، وقف على الباب تائبًا، فالتوب مقبول وعفو الله مأمول وفَضْلُهُ مَبْذُول فالأيام تطوى والأعمار تفنى، والأبدان تبلى، والسعيد من طال عُمره، وحَسُن عمله، والشقي من طال عمره وساء عمله

محققين لتقوى الله في قلوبهم، وعاملين للخير.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سَيَجْعَل أمته خلفاء الأرض، وأئمة الناس، والولاة عليهم، بهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا من الناس وحكمًا فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يَمُتْ حتى فتح الله تعالى عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر المقوقس وملوك عُمان والنجاشي ملك الحبشة، ثم قام من بعده خليفته أبو بكر الصديق، فبعث جيوش الإسلام إلى أرض فارس، بقيادة خالد بن الوليد، وجيشا آخر بقيادة أبو عبيدة إلى الشام، وثالثا بقيادة عمرو بن العاص إلى مصر، ثم آل الأمرُ بعده إلى الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الذي تم في أيامه فتح بلاد الشام بكاملها، ومصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس».

ومن هنا نتعلم أن الله يمكن لأوليائه إذا كانوا مؤمنين صالحين، كما قال سبحانه وتعالى: «ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ» [الحج: ٤١].

فيا عبد الله، استدرك من العمر ذاهبًا، ودع اللهو جانبًا، وقم في الدجى مناديًا، وقف على الباب تائبًا، فالتوب مقبول، وعفو الله مأمول، وفَضْلُهُ مَبْذُول: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا» [الإنشقاق: ٦- ١٥]، فالأيام تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تبلى، والسعيد من طال عُمره، وحَسُن عمله، والشقي من طال عمره وساء عمله، فاتقوا الله حق تقاته، وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته.

حفظ الله مصر من كل مكروه وسوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

تفسير سورة «ص»

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

«وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم
مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ
عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ
الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ
﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ
بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا
أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا
إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا
خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾
قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ
لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ
﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ
فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ
أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ
﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾»

[ص: ٦٢- ٨٨].

دلائل التوحيد:

«قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى هو المعبود بحق، وكل ما سواه مما عُبدَ من دونه عُبدَ بالباطل، كما قال تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» [الحج: ٦٢]، فالله هو الإله الحق؛ لأنه يستحق العبادة دون غيره، لأنه: «الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾» [الأعلى: ٢- ٣]، «وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾» [النجم: ٤٤- ٤٨]، ولذلك خاطب المشركين بقوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ» [الروم: ٤٠] لا. فكيف عبدتموهم كما تعبدون الله سبحانه وتعالى؟!

«وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» والقاهر اسم فاعل، يقال: قَهَرَه يقهره قهرًا: غلبه. والله القاهر القهار، فهو قهر خلقه بسلطانه وقدرته، وصرَّفهم على ما أراد طوعًا وكرهًا، والقهار للمبالغة. وقال ابن الأثير- رحمه الله-: القاهر هو الغالب لجميع خلقه [لسان العرب (٥/١٢٠)].

وقد أفاد تعريف الجزأين القصر، أي لا قاهر إلا هو؛ لأن قهر الله تعالى هو القهر الحقيقي، الذي لا يجد المقهور منه ملاذًا؛ لأنه قهر أسبابًا لا يستطيع أحدٌ خلق ما يدفعها، ومما يشاهد منها دومًا النوم، وكذلك الموت، ولذلك يقال: سبحان من قهر العباد بالموت. ويدخل في معنى القهر خلق الله تعالى ما لا يدخل تحت قدرة الخلق، بحيث يوجد ما لا يريدون وجوده كالموت، ويمنع ما يريدون تحصيله كالولد للعقيم، والجهل بكثير من الأشياء. بحيث إن كل أحد يجد في نفسه أمورًا يستطيع فعلها، وأمورًا لا يستطيع فعلها، وأمورًا يفعلها تارة، ولا يستطيع فعلها تارة، كالمشي لمن خدرت رجله، فيعلم كل أحد أن الله هو خالق القدر والاستطاعات؛ لأنه قد يمنعها، ولأنه يخلق ما يخرج عن مقدور البشر

[التحرير والتنوير(٧/ ١٦٤و١٦٥)، باختصار].
وثبوت هذا الوصف لله عز وجل يعد شاهدًا من شواهد وحدانيته، ودليلاً من دلائل تفرده بالألوهية، وبطلان الشرك واتخاذ الأوثان. [فقه الأسماء الحسنى: (٢٩٤)].

فيستحيل أن يكون لهذا العالم إلا إله واحد، لأن الله قاهر فوق عباده، له العلو والغلبة، فلو فرضنا وجود إلهين اثنين مختلفين ومتضادين أراد أحدهما شيئًا وخالفه الآخر، فلا بد عند التنازع من غالب ومغلوب، فالذي لا تنفذ إرادته هو العاجز المغلوب، والذي تنفذ إرادته هو القادر القاهر [شرح العقيدة الطحاوية ص(٧٨و٧٩)].

فالقهر والتوحيد متلازمان، فلا يكون القاهر إلا واحدًا، ولذلك اقترن اسم القاهر باسم الله الواحد، في ستة مواضع، قال تعالى: «يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾» [إبراهيم: ٤٨]، وقال تعالى: «قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾» [ص: ٦٥]، وقال تعالى: «يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ» [غافر: ١٦]، وقال تعالى: «لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ» [الزمر: ٤]، وقال تعالى: «قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ» [الرعد: ١٦].

«رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ» وكانوا مقرين بتوحيد الربوبية، فألزمهم الله تعالى بتوحيد الألوهية، كانوا مقرين بتوحيد الربوبية وهو الاعتقاد مع الإقرار بأن الله رب العالمين، الخالق الرازق، النافع الضار، الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، قال تعالى: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾» [الزخرف: ٨٧]، «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ» [العنكبوت: ٦١]، «قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» [يونس: ٣١]، فكانوا مقرين بتوحيد الربوبية، فـ«إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾» [الصافات: ٣٥- ٣٦]، فالله تبارك وتعالى يقيم عليهم الحجة دائماً بإقرارهم بتوحيد الربوبية، ويقول: إن إقراركم بالربوبية يستلزم أن تقروا بالألوهية وإلا «أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ» [النحل: ١٧]، إذا كنتم مقرين بأن الله هو الذي خلقكم دون سواه فكيف تعبدون المخلوق؟!، «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ» [الحج: ٧٣]، والذي لا يستطيع أن يخلق ذبابًا يكون عاجزًا، والعاجز لا يستحق أن يكون إلهًا، فبطل كون هذه المعبودات آلهة.

«وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ»، انظر «العَزِيزُ الغَفَّارُ» الذي قهر كل شيء، وغلب كل شيء، ولا يغلبه شيء، ومع كونه قهاراً عزيزاً، فهو غفار، كثير المغفرة، يغفر لمن تاب إليه وأناب.

دلائل النبوة:

«قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» النبأ يحتمل أن يكون القرآن الكريم، قل هو أي القرآن الذي أتلوه عليكم «نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ»، ويحتمل أن يكون المراد بالنبأ العظيم البعث بعد الموت وما فيه من أهوال، كما قال تعالى: «عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾» [النبأ: ١- ٥].

فلما ذكر دلائل التوحيد انتقل إلى ذكر دلائل النبوة، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: «مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ»: الدليل على أنني رسول من الله أنني «مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ» في أمر آدم عليه السلام «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾» [البقرة: ٣٠- ٣٣]. من أين للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم هذا، لولا أن الله تبارك وتعالى أوحى إليه به، فالقصص القرآني من أعظم دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك ترى الله عز وجل دائما يعقب على كل قصة بالإشارة إلى أن هذا وحيه أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، تقرأ في سورة هود قصة نوح مع قومه، ثم ترى الله يقول في آخرها: «تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا» [هود: ٤٩]، وتقرأ أحسن القصص، قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وترى الله يعقب عليها بقوله: «ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾» [يوسف: ١٠٢]، وتقرأ قصة مريم بنت عمران في سورة آل عمران، وترى الله عز وجل يقول: «ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» [آل عمران: ٤٤]، فإخباره صلى الله عليه وسلم بذلك دليل نبوته؛ لأن هذا شيء لا يُعرف إلا عن طريق الوحي، ولذلك قال: «مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

قصة خلق آدم عليه السلام:

ثم بيّن الله تبارك وتعالى فيما كانت الملائكة يختصمون، فقال: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» كان هذا أمر الله تبارك وتعالى للملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلق آدم، «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فلما خلق الله تبارك وتعالى آدم، ونفخ فيه من روحه، نفذت الملائكة الأمر؛ لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بكونهم «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» [التحريم: ٦]، «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» [الأنبياء: ٢٧].

«فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ»، ويؤكد ربنا سبحانه وتعالى أن كلهم سجدوا بلا استثناء، فيقول: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ» ولم يكن من الملائكة، وإنما كان من الجن، كما قال الله تعالى في سورة الكهف: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» [الكهف: ٥٠]، فإبليس ليس من الملائكة، وإنما «كَانَ مِنَ الْجِنِّ»، والجن عالم آخر غير عالم الملائكة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خُلقت الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» [مسلم ٢٩٩٦].

وقد يقول قائل: فإذا كان إبليس ليس من الملائكة، فعدم سجوده ليس عصيانا؛ لأنه لم يكن مأمورًا بالسجود؟

والجواب: أن إبليس لعنه الله كان مأموراً بالسجود لآدم؛ لأن الله تعالى قال له في الأعراف: «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» [الأعراف: ١٢]، فيحتمل أن يكون هناك أمر صريح خاص بإبليس، ويحتمل أن الأمر للملائكة كان أمراً لإبليس بالمجاورة؛ لأن في النظم الحالية: المغتربون المقيمون في بلاد غير بلادهم، لا يجوز لهم أن يخالفوا الأنظمة والأوامر التي تصدرها الدولة لأبنائها، بحجة أنهم مغتربون، وليسوا من البلد، بل كل أنظمة البلد، قوانينها وأحكامها، إذا صدرت تعم المقيم والمواطن، تعم المواطنين والأجانب المقيمين، فإبليس كان مع الملائكة، فلو لم يكن له أمر خاص، لكان في أمر الملائكة أمر له، «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» استكبرت على آدم فلم تسجد له، أم كنت من العالين المستكبرين على أمر الله.

مذهب السلف في الأسماء والصفات:

وفي قوله تعالى: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» إثبات لصفة اليد لله سبحانه وتعالى، فنقول كما قال السلف: (لله يد لا كأيدينا). لقد قال اليهود: «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ»، فكذبهم الله تبارك وتعالى في الوصف دون الأصل، فقال تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» [المائدة: ٦٤]، فنقول كما قال السلف: (لله يد لا كأيدينا)، وهكذا نقول في سائر الصفات، صفات الأفعال وصفات الذات، صفات الأفعال كالمحبة والبغض، والرضا والسخط والإتيان والمجيء، والنزول والاستواء، وصفات الذات كاليد والعين، والساق والقدم، نثبت لله تبارك وتعالى ما أثبته الله لنفسه في محكم كتابه، أو فيما صح على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تحريف، فلا نقول: يد الله قدرته؛ لأن هذا تحريف، ولا نقول: يد الله كأيدينا؛ لأن هذا تكييف، وإنما نثبت من غير تكييف ولا تحريف، وقوفاً عند قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ٨] فـ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» رد على المشبهة، «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» رد على المعطلة، وسبيل الحق بينهما لأهل السنة والجماعة: إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل.

وإبليس -لعنه الله- كان أعلم بربه من المعطلة؛ لأنه آمن بأن لله يدين، ولو علم أن اليد المراد بها القدرة كقول المعطلة لقال يا رب! وأي فرق بيني وبين آدم؟ خلقته بقدرتك، وخلقتني بقدرتك، ولكن إبليس سلم أن الله تبارك وتعالى فضل آدم عليه وعلى جميع المخلوقات بأن الله خلق آدم بيديه، وهذه من خصائص آدم عليه السلام أن الله خلقه بيديه.

التحذير من تقديم العقل على النقل:

«مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ» على أن تسجد لآدم «أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» المستكبرين على أوامر الله، فقاس- لعنه الله- وهو أول من قاس، فبئس السلف لبئس الخلف، الذين يقدمون القياس على النص، «قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» فخالف النص بالقياس، وأخطأ في القياس؛ حيث إن النار ليست خيراً من الطين، بل الطين خير من النار، فيه ثقل، ورزانة، وبه يكون البناء، والنار فيها خفة وطيش، وبها يكون الهدم والفناء.

«قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ

إلَى يَوْمِ الدِّينِ» اللعنة الطرد من رحمة الله عز وجل، ويوم الدين هو يوم الحساب والجزاء، يوم القيامة.

«قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أراد أن يفر من الموت، فأجابه الله ولكن «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» يعني النفخة الأولى، التي يفنى بها الخلائق كلهم، ومنهم إبليس، وليس إلى النفخة الثانية التي يبعثون فيها، أراد لعنه الله أن يُنظر يعني يؤخر في أجله إلى يوم البعث، فإذا كان يوم البعث ولم يمت إبليس فلا يموت أبداً، فربنا قال له: «قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» ولكن إلى متى؟ «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» إلى النفخة الأولى التي يموت بها الخلائق كلهم، «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾» [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

«قَالَ فَبِعِزَّتِكَ» قسم منه لعنه الله: «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» ثم استثنى، والحمد لله على هذا الاستثناء، قال: «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» بفتح اللام، ومخلَص اسم مفعول، والمخلص بكسر اللام اسم فاعل، وعباد الله المخلصين أخلصوا لله أولاً، فاستخلصهم الله لنفسه، «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» وربنا قال له: «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» [الحجر: ٤٠]، فإذا أراد الإنسان أن يفر من الشيطان فعليه أن يدخل في هذا الحصن، حصن العبودية لله عز وجل، «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾» [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

قال الله تعالى: «قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ»: فالحق بالرفع، فالحق هو أنا، وأنا أقول الحق، ما الحق الذي قاله ربنا؟ قال: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ»، ولذلك حذرنا ربنا من الشيطان، وعرفنا مقصده منا «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» [الأنفال: ٤٢]، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾» [فاطر: ٥- ٦]، فإذا أوردهم النار تبرأ منهم، كما قال تعالى: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾» [إبراهيم: ٢٢- ٢٣].

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ»: لماذا ترفضون الدعوة؟ لماذا ترفضون التعليم؟ والدعوة مجانية، والتعليم مجاني، وأنا لم أسألكم أجرًا على التعليم ولا على الدعوة.

«قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» الذين يقولون ما لا يعلمون، فمن التكلف أن يتكلف الإنسان ما يفقد، سواء من العلم أو من غيره، فلا تتكلف ما تفقد، إذا فقدت العلم فلا تتكلفه، وإنما كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: من علم فليقل بما علم، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن الله قال لرسوله صلى الله عليه وسلم «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ».

عالمية الرسالة المحمدية:

«إِنْ هُوَ» أي القرآن الكريم «إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»، كما قال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١]، وكما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾» [الأنبياء: ١٠٧]، والآيات والأحاديث في عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس كثيرة، وهذا مما اختصه الله به، كما قال صلى الله عليه وسلم: «وكان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة» متفق عليه.

المستقبل لهذا الدين:

«وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» بعد كم سنة سترون كيف انتشر الإسلام، وكيف ارتفعت راية الإسلام على المعمورة.

قال هذا وهم ما زالوا في مكة، والمسلمون فئة مستضعفة، والقوى العظمى هي قوة الشرك وأهله، وقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وما زلنا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتحقق هذا الوعد مرة ثانية، كما تحقق في المرة الأولى، «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ». ونحن مؤمنون بقول النبي صلى الله عليه وسلم، بأنه لا تقوم الساعة حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ولا حجر إلا وأدخله الإسلام بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الشرك وأهله [الحاكم في المستدرك ٨٣٢٤ وصححه ووافقه الذهبي].

«وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ». وعسى أن يكون قريبًا.

والحمد لله رب العالمين.

دلائل عظمة القرآن

الحلقة الثانية

إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فما يزال حديثنا متصلاً عن دلائل عظمة القرآن الكريم، فمن دلائل عظمته ما يلي:

عالمية القرآن:

لقد زعم أعداء الإسلام أن القرآن العظيم كتاب تاريخي، خاطب عصرًا محددًا فقط، ثم انتهت صلاحيته بعد ذلك، ولم يبق له في الواقع المعاصر أدنى تأثير، ونحن المسلمين نعتقد اعتقادًا جازمًا لا مرية فيه، أن القرآن العظيم هو الكتاب الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر إلى يوم القيامة فلم يُقَيَّدْ بزمان، ولا مكان، ولا جنس، ولا طبقة، بل هو موجَّه إلى الثقلين خاطبهم جميعًا بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة، والعبادات الحكيمة، والأحكام الرفيعة، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عالمية القرآن، ومن الصعوبة بمكان استقصاء جميع الآيات التي تحدثت عن عالمية القرآن.

وقد ذكر بعضهم: «أن عدد الآيات الدالة على عالمية القرآن تزيد على ثلاث مائة وخمسين آية». [دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري، د. محمد خليل].

وهناك أربع آيات تُعلن بكل وضوح أن القرآن ذكرٌ للعالمين: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ» [الأنعام: ٩٠، يوسف: ١٠٤، ص: ٨٧، القلم: ٥٢، التكوير: ٢٧].

والمتأملُ في ألفاظ هذه الآيات الأربع، وتعبيراتها، يجد المقصود منها دالَّ على عالمية القرآن، وقد استنبط بعض علماء التفسيرِ من هذه الآيات ما يلي:

أولاً: أنها جاءت بصيغة الحصر. [التحرير والتنوير: ١٢٥/١٧]. فهذه الصيغة الحصرية تنفي عن القرآن كلَّ صفة تنافي عالميته، وتجعل عالميته منصوصًا عليها بكل وضوح.

ثانيًا: أنه مُذكرٌ للعالم أجمع، باعتبار أنه مخاطبٌ به الإنس، فهو يذكرهم ويخاطبهم بما يحتاجون إليه فردًا وأسرةً ومجتمعًا ودولة.

ولفظ: «للعالمين» عام للإنس والجن، ممن عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وممن جاؤوا بعده إلى قيام الساعة. [تفسير أبي حيان: ٤٨٠/٦، تفسير ابن عطية: ١٩٩/٤].

ثالثًا: العالمين جمعٌ عُرِّفَتْ بـ (ال) فتدل على معنى الاستغراق، فالجمع المعرف بـ (ال) من صيغ العموم في اللغة العربية.

ولفظ (عالَم) مفرد العالمين، فهو يَعُمُّ كُلَّ ما في الكون، فإذا جُمع بالواو والنون يكون خاصًا بالعقلاء من الإنس والجن أجمعين.

فدلت لفظة (العالمين) على أن القرآن العظيم ذكرٌ لجميع العقلاء من الإنس والجن بلا تقييد بمكان أو زمان أو طبقة أو جنس.

يقول الرازي رحمه الله: «لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات، فدلت الآية على أنه رسولٌ للخلق عامة إلى يوم القيامة». [التفسير الكبير: ٤٠/٢٤].

ولا ريب أن عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم يتحقق بعالمية كتابه الذي أرسل به إلى الناس كافة «يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما يُنزَّهُ عنه من النقائص

والرذائل والأمثال، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدرية والشرعية والجزئية. وبالجملة يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون به السعادتين». [تفسير السعدي: ٣٧٩/٥].

ومن الآيات التي صرحت بعالمية القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١].

٢- وقوله تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧].

٣- وقوله تعالى: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» [الإسراء: ٨٩].

٤- وقوله تعالى: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [الزمر: ٢٧].

٥- وقوله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ» [الزمر: ٤١].

يقول ابن عاشور رحمه الله في «التحرير والتنوير» (١٢١/١٧) في تفسير قوله تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧].

«صيغت بأبلغ نَظْم إذ اشتملت هذه الآية - مع إيجاز ألفاظها - على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدح مُرسِله تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة، وبأنها رحمةُ الله تعالى بخَلقه».

فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفًا، بدون حرف العطف الذي عُطِفَتْ به، ذُكِرَ فيها الرسول ومرسله والمرسَل إليهم والرسالة، وأصاف هؤلاء الأربعة مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر وتنكير (رحمة) للتعظيم؛ إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم، وإلا لقيل: إلا لنرحم العالمين، أو إلا أنك الرحمة للعالمين، وليس التنكير للإفراد قطعًا؛ لظهور أن المراد جنس الرحمة، وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم، فهذه اثنا عشر معنى خاصًا بهذه الآية.

ويتحدث ابن القيم رحمه الله عن عموم الآية فيقول (كما في جلاء الأفهام ص١٨١): «أصحُّ القولين في هذه الآية: أنها على عمومها، وفيها على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته.

أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.

وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عُجِّل قتلُهُم وموتُهم خير لهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كُتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شرًا بذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون: فحصل لهم بإظهار الإيمان به حَقْنُ دمائهم، وأموالهم وأهليهم، واحترامُها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث، وغيرها.

وأما الأمم النائية عنه: فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كُلَّ العالمين النفعُ برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار رَدُّوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمةً لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواءٌ لهذا المرض، فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواءً لذلك المرض».

ومما يُفصِحُ كذلك عن عالمية القرآن العظيم، ما يذكر في معرض بيان فوائد القصص والأمثال، أنه - تبارك وتعالى - ضرب للناس، أو صَرَّف للناس من كل مثل، فيذكر الناس بصيغة الجمع، المعروف باللام، المفيد للاستغراق كما هو معروف عند أهل العربية.

ومما سبق يتبين لنا أن عالمية القرآن مظهر جليٌّ من مظاهر عظمته، والتي تدل بوضوح أيضًا على عظمة مُنزِّله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيان مجلس شورى العلماء
بشأن الأحداث الجارية

البيان العشرون

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعدُ...

أولاً: تمر بلاد المسلمين عامة، ومصر خاصة، بمرحلة خطيرة من مراحل تاريخها، تقتضي تضافر جهود العقلاء، وإخلاص الأتقياء، وحلم الحكماء؛ تعاونًا وترابطًا للعبور بالبلاد إلى بر الأمان، حتى ترسو سفينة البلاد بسلام وأمان، بدلاً من أن تُغرقها أمواج الفتن والاضطرابات.

ثانيًا: إن مجلس شورى العلماء سبق أن أعلن بالإجماع تأييده للأستاذ/ حازم صلاح أبو إسماعيل، كمرشح لرئاسة الجمهورية، لكن المجلس لا يضمن له، ولا لغيره، الوصول إلى هذا المنصب كأمر حتمي، فمن تم له ذلك فبفضل الله، ومن لم يتحقق له ذلك فبقدَر الله، «وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ» [البقرة: ٢٤٧]. ويكون قد أعذر إلى الله وأدى ما عليه في حدود طاقته، فنوصي بالصبر والرضا بالقضاء، ومخاطبة المحبين والمؤيدين بخطاب الله عز وجل : «وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢١٦]، وإن أي عنف، أو تخريب، أو تدمير، أو سبّ، أو قذف، ليس من أخلاق طلاب الشريعة والعاملين بها والداعين إليها، ولا يصلح مصادمة قوانين الدولة، حتى لا تدخل البلاد في أنفاق مظلمة، فنُفسد من حيث أردنا الإصلاح، والله لا يحب الفساد.

ثالثًا: يُذَكِّر مجلس شورى العلماء المسلمين جميعًا بأنهم في الأصل أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان أحرص الناس على صيانة سمعة المسلمين، من أن ينال منها المغرضون، كقوله: «هذه صفية»، وكقوله: «حتى لا يُقال: إن محمدًا يقتل أصحابه»، فلا نريد أن نُقدم صورة منكرة عن الإسلام والمسلمين تصد الناس عن ديننا، وتشوّه سمعتنا، وتُعيق دعوتنا.

رابعًا: على القضاة المسئولين عن لجنة الانتخابات إظهار موانع استمرار المبعدين من سباق الرئاسة بجلاء ووضوح لا يقبل الشك والتأويل، حتى يُخرجوا أنفسهم من دائرة الاتهام بأنهم يسعون بأي سبيل إلى إقصاء هذا أو ذاك، وحتى لا يستمر الجدل ويعظم الخطر.

خامسًا: نُذكِّر المسئولين جميعًا بأن شعب مصر شعبٌ مسلم يحكمه إسلامه ودينه، وقد أذن الله سبحانه بزوال الضاغطين عليه لسلخه من هويته وحريته، ولن تعود عقارب الساعة إلى الوراء، إن شاء الله، فليسعَ المسئولون في طمأنة هذا الشعب عمليًا وعلى أرض الواقع بما يحقق له طموحاته نحو دينه ودنياه.

سادسًا: إن مجلس شورى العلماء ببيانه هذا قد خاطب الجميع بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى أبناء الأمة أن يتبعوا علماءهم ومشايخهم من أهل الحَل والعقد، وإلا فالفوضى والمعارضة بغير سلطان وبرهان لا تُنتج شرعًا ولا تُصلح واقعًا.

ويتابع مجلس شورى العلماء أمر انتخابات الرئاسة بدقة ودراسة، وبالتشاور مع سائر العلماء والدعاة والمتخصصين.

حمى الله مصر وشعبها من الفتن.

منبر الحرمين

تحديات تواجه الأمة

إعداد / فضيلة الشيخ محمد بن صالح المنجد



الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

المبشرات كثيرة والآمال عظيمة

عباد الله: المبشرات كثيرة، والآمال عظيمة، وبقدر ما نجد في الواقع من مكر الأعداء؛ فإننا نجد من رحمة الله أكثر، وبقدر ما نجد من الخطط الخبيثة ضد الإسلام وأهله، فإننا نجد من التفاؤل به وبمستقبله أكثر.. والله من ورائهم محيط.. غالب على أمره، سبحانه.

ومن هنا كان لا بد لأهل الإسلام من التصدي للتحديات الكثيرة التي تواجههم، ومن ذلك مقاومة نشر الإلحاد، فإن الله سبحانه وتعالى رب السماوات والأرض، مالك الملك، خالق كل شيء، هو الله الواحد القهار.

التصدي لنشر الإلحاد

وقد اتجهت خطط أعداء الله نحو نشر الإلحاد عداوةً لله عز وجل، فأنكروا وجوده وشكّكوا في ذلك، فليس النقاش في توحيد الإلوهية، بل في توحيد الربوبية الآن.. وقد تولى ربنا عز وجل الرد على هؤلاء فقال لهم: « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ » [الطور: ٣٥- ٣٦].

هؤلاء الذين يقولون: لا إله، أو يشككون في وجوده كما يدرسون ذلك في جامعاتهم الكبرى في الغرب والشرق، والذين تسري بعض أفكارهم في أدمغة بعض أبناء المسلمين وبناتهم، مع الأسف الشديد، ويعتصر القلب ألما لمثل هذه الخطوب.

إلحاد يُبث في مقررات، في روايات، في أفلام ومواقع، إلحاد يبث عبر رؤوس ضلالة يسوّقونه ويروّجونه بين المسلمين، يتجسسون إلينا تارة في اجتماعات مشبوهة في هذه المقاهي الحديثة، وتارة في منتديات يجتمعون فيها باسم الحرية، وأنه لا يوجد سقف للنقاش ولا خطوط حمراء، وأنه لا ثوابت للحديث؛ ترويجًا للإلحاد لإنكار وجود الله سبحانه وتعالى..

فماذا يبقى للمسلم بعد ذلك من المقدسات؟ وهذه الحرية المطلقة والليبرالية الشرسة المتوحشة قد أطلت برأس الإلحاد بعد ما كانت قد أطلت علينا في فصل الدين عن الحياة..

فما هو آخر مشوار الليبرالية إذاً؟ الإلحاد

كما ظهر ذلك عيانًا بيانًا، فماذا يجب على أهل الإسلام في التصدي لهذا؟

إن هنالك واجبات كثيرة.. إن هنالك يا عباد الله مسئوليات وأعمالاً عظيمة، إنه يجب علينا أن نعظم الله في نفوس الناشئة والأولاد، إنه يجب علينا أن نقرر التوحيد، أتدري ما الله؟ سبحانه جل وعلا، «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» [الزمر: ٦٧]، «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» [الرعد: ٣٣]، «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» [البقرة: ٢٥٥]، «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ» [الأنعام: ٩٦] «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ» [فاطر: ٤١] هو الله «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [الزمر: ٦٣] «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» [الحشر: ٢٣].

هو الله «مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» [نوح: ١٣] هنا الرد على الملاحدة ومناقشتهم في جميع أنواع الأدلة، هنا تحصين الأولاد ذكورًا وإناثًا من آفة الإلحاد، هنا الرد على الذين يشككون في حكمته تعالى ويشككون في قضاءه وقدره سبحانه: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» [الأعراف: ٥٤]«فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ»[يس: ٨٣].

لا بد من تأسيس قواعد الإيمان في النفوس لمواجهة لتيار الإلحاد الذي يغزو كل شيء.

تحدي تحكيم الشريعة

عباد الله: وإن من التحديات التي تواجه الأمة أيضًا، والتي تطل برأسها عليهم، تحدي تحكيم الشريعة، وجعل الشريعة الإسلامية هي الدستور والقانون الحاكم بين الناس، هذه الشريعة التي يشن عليها الأعداء هجماتهم يطعنون فيها في صلاحيتها، في حكمتها، في مناسبتها.. يطعنون في شمولها، يطعنون في تلبيتها للاحتياجات، هؤلاء الأعداء الذين لا يريدون تحكيمها، ومع الأسف أنه وُجد ممن يسمى بالإسلاميين من يصرح بعدم الرغبة في تطبيق الشريعة، وأنهم يريدونها ديمقراطية لا شريعة إسلامية، وأنهم لا يريدون تحكيمها..!!

يا عبد الله! إذا كنت مسلمًا حقًا ولا تستطيع أن تقول الحق، ولا أن تجهر به لأيّ سبب من الأسباب، إذا قدرت في نفسك أنك لم تصرح بوجوب تحكيم الشريعة الآن، إذا لم تستطع قول الحق، فلماذا تقول الباطل؟!

لماذا تقول كلامًا فيه التخلي عن الشريعة؟ لماذا تصرح بتصريحات؟! وتطلق عبارات فيه التأكيد على عدم تطبيق الشريعة.. لماذا؟ ألهذه الدرجة سارت الشريعة رخيصة؟! ألهذه الدرجة سارت أحكام الدين هينة؟!

هل هي عيب نريد أن نستره؟! «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣] «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» [المائدة: ٥٠]، قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥].

أليس من أسماء الله «الحكم»؟ ألم يقل في كتابه «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» [الأنعام: ٥٧]؟ ألم يحذر بقوله «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» [المائدة: ٤٤]، «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [المائدة: ٤٥] «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [المائدة: ٤٧].

وهنا يجب على علماء الشريعة وعلى طلبة العلم وعلى عامة الناس الذين تدور أصابعهم بين أزرار لوحات المفاتيح، والذين يمتلكون أن يطلقوا كلمات في شريط الرسائل في الفضائيات، أو تعليقًا في برنامج أو مداخلة يجب عليهم أن ينصروا الشريعة، وأن يبينوا أنهم مع الشريعة، وأنهم لا يريدون غير الشريعة، وأنه لا يجوز الفرار من الشريعة ولا التبري منها..

إن الشريعة لا تعني إلغاء الحكمة في تنفيذها، وليست الشريعة كما يتصور هؤلاء أو يريدون أن يروجوا أنها إذا نُفِّذت فيتحول ربع المجتمع إلى مقطوعي الأيدي، وربع إلى مسجونين، وربع إلى مرجومين، وربع إلى مطلوبين مقتولين...

هل تعلمون يا عباد الله أنه في إقليم واحد من أقاليم الجزيرة في هذه البلاد خلال ٢٦ سنة لم يطبق إلا ثلاثة عشر حكمًا بقطع اليد فقط؛ بمعدل كم بمكان يحكم بالشريعة؟ وإذا ثبت عند

القاضي شرائط توفرت شرائط قطع اليد أمر بقطعها..

في ٢٦سنة ثلاثة عشر حدًا فقط للسرقة في مكان يحكم الحدود، فعن أي شيء يتحدث هؤلاء؟! فهنا يجب أن نبين بالحقائق الشرعية والتاريخية والواقعية أن نقوم بالرد على هؤلاء العلمانيين المنافقين الذين تسلموا منابر الإعلام؛ يخوّفون من الشريعة.

منهج تربوي في التغيير

وهذا منهج تربوي في التغيير عن عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز أنه دخل على أبيه، فقال: «يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فأخلني..» أريد أن أكلمك، مع أنه أبوه، لكن يدخل عليه كأحد الرعية.. فلما جلس بين يديه قال عبدالملك لأبيه: «يا أمير المؤمنين: ما أنت قائل لربك غدا إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة لم تحيها؟»

فقال: «يا بني أشيء حملتك الرعية إليّ؟ أم رأي قلته من قِبل نفسك؟» قال: «لا والله، ولكن رأي رأيته من قِبل نفسي وعرفت أنك مسئول فما أنت قائل؟ »

أنا أشاهد يا أبتي أن بعض الأشياء أنت لم تنفّذها بعدُ، هناك منكرات لم تقض عليها بعد، والله سيحاسبك على ذلك، ماذا ستقول يوم القيامة؟ عبدالملك شاب متحمس ومؤمن يخشى على أبيه ويريد أن تنفذ الأمور كلها فورًا..

فقال أبوه: «رحمك الله وجزاك الله من ولد خيرًا، فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بني: إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدةً عقدة..» يعني قبل أن أتولى هناك أشياء حبكت وترسخت وتجذرت..

«...قد شدوا هذا الأمر عقدةً عقدة، وعروةً عروة، ومتى أردتُ مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم..» كأخذ بعض ما في أيدي بني أمية مما سلبوه من بيت المال بغير حق فيما سبق.

«.. ومتى أردتُ مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقًا تكثر فيه الدماء. والله لزوال الدنيا أهون عليّ من أن يُهراق في سببي محجمة من دم، أوَما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يُميتُ فيه بدعة ويُحيي فيه سنةً حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين؟!».

هذه الطريقة العمرية في كيفية تنفيذ الأحكام ومواجهة المنكرات عندما يقوم هذا الإمام العادل في وسط قد تجذرت فيه الانحرافات، فهو لا يستطيع أن يقضي عليها جميعًا في يوم وليلة، لكنه في كل يوم يحيي سنة ويميت بدعة، يقيم معروفا ويقضي على منكر.. وهكذا.. أما إعلان الإلغاء وإعلان الرفض والوعد بعدم تطبيق الشرع، هذه مصيبة والله؛ لأن هذا وكلام الكفار سواء..

الخطر الباطني المجوسي

ومن التحديات التي تواجه الأمة هذا الخطر الباطني المجوسي، هذا الخطر الحاقد المهلك الوحشي الذين يسعون في الأرض بالفساد يهلكون الحرث والنسل هؤلاء التتر، هؤلاء الأوباش الوحوش القادمون للقضاء على أهل السنة (قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) [آل عمران: ١١٨] في تاريخهم الأسود حتى قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم - من جهة هؤلاء الباطنية- وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين».

هذا التحدي الكبير الذي يواجه الأمة اليوم في دينها وفي سنة نبيها وفي وجودها، في بلادها وبيوتها وأهلها، في دمائها وأعراضها وأموالها، هذا التحدي الذي يواجه الأمة اليوم في حقد باطني سلطه الغرب واليهود اليوم عمدًا وكلوا بها الباطنية حتى لا يلوثوا أيديهم مباشرة بالقتل والتدمير سلطوا وكلاء، يجوسون خلال ديارنا، يقتلون أبناءنا ويستحيون نساءنا، ويخربون بيوتنا..

ويستغيث المسلمون رجالا ونساء وولدانا ويقولون: ربنا أخرجنا، اجعل لنا من لدنك سلطانا، اجعل لنا من لدنك وليا، اجعل لنا من لدنك نصيرا..

هذا التحدي الكبير الذي يتطلب اليوم بيان حكم هؤلاء الباطنية، وحقيقة عقيدتهم وتاريخهم الأسود، وماذا فعلوا بالمسلمين، لما تسموا بالعبيديين تارة وبالفاطميين تارة، وبالبويهيين تارة، وبالصفويين تارة، وبالقرامطة تارة.. الذين تسموا بالحمدانيين... تسموا وتسموا بغير ذلك.. كلهم طينة واحدة حقدًا باطنيًا عظيمًا على أهل الإسلام، من

الذي أنشأهم أليس عبدالله بن سبأ؟ أليسوا هذه البذرة اليهودية فقط عرف اليهود، ماذا يصنعون في وسط هذه الأمة، وكيف يسلطونهم بعد ذلك.. فقد أنشئوهم ورعوهم وسلطوهم، مكنوهم، وأتاحوا لهم المجال..

ومن هنا يا عباد الله: فإن مواجهة هذا الخطر تحدٍّ عظيم جدًّا للأمة الآن، يكاد يكون أكبر تحدٍّ الآن على مستوى الأمة هذا، وقد ظهرت بلاد تحويلهم بلاد المسلمين إلى ساحات مذابح ومعارك تغيرون من خلالها على أهل الإسلام.

وعندما يقول الله عن المسلمين الذين يناشدون إخوانهم «وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ» [الأنفال: ٧٢]، فإن ذلك يبين واجب الإمداد، الإمداد بالمال، الإمداد بالغذاء، الإمداد بالكساء، الإمداد بالدواء، الإمداد بالدعاء، الإمداد بالإعلام، الإمداد بالرأي، والإمداد بالفتوى، والإمداد...

وأنواع الإمداد الكثيرة التي يجب على المسلمين أن يقوموا بها تجاه إخوانهم؛ لأن الدور علينا بلا شك، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم» [أبو داود (٢٥٠٦) وصححه الألباني].

الواجبات أمام كثرة التحديات

عباد الله: إن التحديات والله كبيرة، إنها تتطلب منا وعيًا عظيمًا وإيمانًا راسخًا وعلمًا مبينًا، تتطلب منا حشد الطاقات وتنظيم الصفوف، تتطلب منا سهرًا بالليل وعملا بالنهار ورباطًا على الثغور، تتطلب منا حراسة، تتطلب منا وحدتنا على الحق، وإلا ستؤكل الأمة.. ونحن نعرف ونوقن ونؤمن بأن المستقبل للإسلام، وأن الله ناصر دينه وأنه سبحانه تعالى قد وعد، وهو لا يخلف الميعاد، أن يتم هذا الأمر، وأن يُدخل هذا الدين كل بيت وأن يبلغ ما بلغ الليل والنهار.. لكن يا عباد الله الأمور بأسباب، النتائج لا تأتي بدون عمل فلا بد أن تبذل الجهود، لابد أن نقوم بالأسباب..

خطر التقسيم والتفتيت

عباد الله: ومن التحديات والمؤامرات العظيمة التي تواجهه الأمة اليوم خطر التقسيم والتفتيت، فإن أعداءها بلا ريب ولا شك قد أعدوا العُدة لتقسيم المقسمات التي قسموها بعد سقوط الخلافة، آن الأوان عندهم لتقسيمات أخرى وإثارة للفوضى والبلبلة، وهذا واضح جدًّا من قبل ومن بعد في الأحداث الجديدة..

فإن ما جرى في السودان والعراق وغيرها من قبل لا شك أنهم يريدون تعميمه، يريدون نشر الفوضى، يريدون تفتيت بلاد المسلمين؛ لأنهم يعلمون أن ربنا قال في كتابنا الذي أنزله علينا « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً » [الأنبياء: ٩٢] «ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات: ١٠] « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» [آل عمران: ١٠٣].

مؤامرة إثارة الشهوات

من المؤامرات العظيمة اليوم التي تواجهها الأمة مؤامرة إثارة الشهوات، مؤامرة تحرير المرأة من شرع الله، مؤامرة تعميم التبرج والسفور والصنف الذي ما رآه عليه الصلاة والسلام في حياته يريدون أن يعمموه بعد وفاته «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» رواه مسلم.

يريدون أن تخضع بالقول والله قال «فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ» [الأحزاب: ٣٢]، يريدونها أن تفتن «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ» [النور: ٣١] فكيف إذا كان المراد الكشف بجميع أنواعه؟!

الله يريدها عفة وطهارة «وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا» [النساء: ٢٧] فيريدونها اختلاطا عامًا، يريدونه سفورًا وتبرجًا وانحلالاً، يريدونها إقامة علاقات محرمة ونشرًا للفساد وهكذا..

فمن ذا الذي يتصدى لهذا اليوم ويبين حكم الله في العلاقات، حكم الله في الحجاب والألبسة، حكم الله في النظر، حكم الله فيما بعد ذلك « وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ » [الإسراء: ٣٢] من الذي سينشر في الأمة روح الفضيلة وريحها الشريعة والطهر والعفاف الذي جاءت به؟!

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.. اللهم أعنا على القيام بشرعك.. اللهم أعز دينك وانصر أمتك، وأحسن ختامنا أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار

إعداد/ علي حشيش

٢٨١٧ • عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «شُكِيَ إِلَى رسول ﷺ الجِرَاحَاتُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: احْفِرُوا وأَوْسِعُوا وَأَحْسِنُوا وادْفِنُوا الاثْنين والثَّلاثَةَ في قَبْرٍ واحدٍ وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا».

[د (٣٢١٥)، ن(٢٠١٤ ••٢٠١٦)، جه (١٥٦٠)، ت(١٧١٣)، واللفظ له، وقال حديث حسن صحيح].

٢٨١٨ • عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنهما: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُم مِنْ كَسْبِكُمْ، وإِنَّ أَوْلادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ». [د(٣٥٢٨ ••٣٥٢٩)، ن(٤٤٦١ ••٤٤٦٢)، جه (٢٢٩٠)، ت(١٣٥٨)، واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

٢٨١٩ • عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِه ذَات لَيْلَةٍ وهُمْ يَنتظرُونَ الْعِشَاءَ، فقالَ: «صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَهَا، أَمَا إِنَّكُمْ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُوهَا». ثُم قَالَ: لولا ضَعْفُ الضَّعيفِ وَكِبَرُ الكَبيرِ لأَخَّرْتُ هذه الصَّلاَةَ إلى شَطْرِ اللَّيْلِ».

•[أخرجه أبو يعلى ح(١٩٣٩)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٢٠ • عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَوْمُ الْجُمعة اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً لاَ يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شيئًا إلاَّ آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ».

[ن(٩٩٠٣)، وهذا حديث حسن صحيح].

تنبيه: هناك حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذَكَر يومَ الجمعةِ فقال: «فيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شيئًا، إلاَّ أعطاهُ إيَّاهُ».

ولكن أوردناه في المتفق عليه (خ٩٣٥)، م(٨٥٢)، حيث إن أحاديث هذه السلسلة مبنية على مراتب الصحيح.

٢٨٢١ • عَنِ ابْنِ عُمر رضي الله عنهما عَن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ».

[ابن نصر في «قيام الليل» (ص٧٣)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٢٢ • عَنِ ابْنِ عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، فقال: حاجَتُكَ يَا أَبَا عَبدِ الرحمن، فقال: عطاءُ المُحَرَّرِينَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوَلَ مَا جَاءَهُ شَيءٌ بَدَأَ بالمحَرَّرِينَ».

[د(٢٩٥١)، وهذا حديث صحيح].

قال الخطابي: «المحررين»: المعتقينَ.

٢٨٢٣ • عَنِ ابْنِ عُمر رضي الله عنهما قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً، فقالَ: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظلومًا» لِعُثْمانَ. [ت(٣٧٠٨) وقال: هذا حديث حسن غريب].

٢٨٢٤ • عن ابْنِ عباسٍ رضي الله عنهما عَنْ رسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ والغُلُوَّ في الدينِ، فَإِنَّمَا

هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكم بِالغُلوِّ في الدينِ».

[ن(٢٦٨٠٥)، جه (٣٠٢٩)، حم (٣٤٧٠١)، ح(٣٢٤٨)، واللفظ لأحمد، وللحديث قصة].

٢٨٢٥ • عَنْ جَابِر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنة الجنةَ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ؟ فيقولونَ: رَبَّنَا وَمَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: رُضْوانِي أَكْبَرُ».

[الحاكم في المستدرك (٨٢٠١)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٢٦ • عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سمعَ رسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ قَاتَلَ في سبيلِ اللهِ فُواقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجنةُ، ومن سأل اللهَ القتلَ مِنْ نفسه صادقًا ثُم ماتَ أو قُتل فإنَّ له أجرَ شهيد، وَمَنْ جُرِح جُرْحًا في سبيلِ الله، أو نُكِب نكبةً فإنَّها تجيءُ يومَ القيامة كأَغْزَرِ مَا كانَتْ لونُهَا لَوْنُ الزَّعْفَران، وريحُها رِيحُ المِسْك، وَمَن خَرَج بِه خُراجٌ في سبيلِ الله، فَإنَّ عَلَيْه طابعَ الشُّهداءِ».

[د (٢٥٤١)، وهذا حديث صحيح].

فواق ناقة: أي قدر الوقت الذي بين الحلبتين.

٢٨٢٧ • عن مُعاويةَ بن أبي سُفيان رضي الله عنهما قالَ: اشْفَعُوا تُؤجرُوا، كَيْمَا تَشْفعُوا فتؤجرُوا، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: «اشْفَعُوا تُؤجرُوا».

[د(٥١٣٢)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٢٨ • عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ رسول الله ﷺ: «نمتُ فَرَأَيتُني في الجنَّة، فسمعتُ صوتَ قَارِئٍ يَقْرئُ القُرآنَ». فقلتُ: «مَن هَذَا؟» فقالُوا: هَذا حَارِثَةُ بنُ النعمانِ، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَلِكَ البِرُّ، كَذَلِكَ البِرُّ»، وكَانَ مِنْ أَبَرِّ الناسِ بِأُمهِ».

[حم (١٥١٠٦) (ح٢٥٢٢٣)، حديث صحيح].

٢٨٢٩ • عن بُريدةَ بن الحصيب رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ إِنِّي بريءٌ مِنَ الإسلامِ، فإنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وإِنْ كَانَ صَادِقًا لَمْ يَعُدْ إِلَى الإسلام سَالِمًا».

[ن(٦٠٧)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٣٠ • عن عائشةَ رضي اللهُ عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كَسْرُ عَظْمِ المَيْتِ كَكَسْرِه حَيًّا».

[د(٣٢٠٧)، جه (١٦١٦)، حم (٢٤٦٢٠-٢٤١٨٩)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٨٣١ • عَنْ أُمِ سلمةَ رضي اللهُ عنها قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُهَا حِيَالَ مَسْجِدِ رسول الله ﷺ.

[د(٤١٤٨)، وهذا حديث صحيح، (حِيَال): أي بجنب مصلاه. كذا «عون» (٢٤١٠٧)

٢٨٣٢ • عَنْ عَبْدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَى عن الشراءِ والبَيْعِ في المسجدِ، وأَنْ تُنْشَدَ فيه ضالةٌ، وأَنْ يُنْشَدَ فيه شعرٌ، وَنَهَى عَنِ التَّحلق قَبْلَ الصَّلاةِ يَوْمَ الجُمعةِ».

[د(١٠٧٩)، ن(٧١٣-٧١٤)، ت(٣٢٢)، جه (٧٦٦-١١٣٣)، واللفظ لأبي داود والحديث حسن].

٢٨٣٣ • عَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الفَقْرَ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَكَاثُر، وَمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الخَطَأَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عليكُمْ التَعمُّد».

[حم (٨٠٢-٥٣٩٠٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٢) وهذا حديث صحيح].

الأدب مع رسول الله ﷺ

ثالثًا: الانتهاء عن كل ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. سعيد عامر
أمين لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً عن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سبق الحديث عن وجوب الإيمان به والتصديق برسالته، وعن وجوب طاعته في كل ما أمر به صلى الله عليه وسلم، وفي هذا اللقاء نبين وجوب الانتهاء عن كل ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الله عز وجل: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» [الحشر: ٧].

قال الحافظ ابن كثير: أي مهما أمركم به فافعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر. اهـ.

ويقول الإمام الشوكاني في فتح القدير: والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر أو نهي أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصًا، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا، وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها. اهـ.

فما من خير آجل ولا عاجل إلا وقد دلَّ صلى الله عليه وسلم عليه الأمة، وما من شر عاجل ولا آجل إلا وحذر صلى الله عليه وسلم الأمة منه، ونهاهم عنه، وترك أمته على المحجة البيضاء. وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظ الناس، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا. قال: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك». [صحيح ابن ماجه للألباني: ١٣/١ برقم ٤١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» [رواه البخاري]. قال الحافظ ابن حجر: والرغبة عن الشيء: الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني. [فتح الباري: ٥/٩].

لذلك كان الإعراض والصدود عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنحيتها عن الواقع العملي، واتباع الأهواء، والشهوات، من فعل المنافقين، وإن زعموا وكذبوا أنفسهم أنهم محبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الله عز وجل: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾» [النساء: ٦١، ٦٢].

فالمسلم إذا رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً لم يلتفت إلى غير هديه، ولم يعوِّل في سلوكه إلى غير سنته وحكمه، وقبل حكمه وانقاد له وتابعه واتبعه، وامتثل المأمورات وكفَّ عن اقتراف المحظورات.

وعلى المؤمن أن يعظِّم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بتقديمها على غيرها وعدم هجرها، وأن يعتقد أن الهدى فيها لا في غيرها.

عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه رأى رجلاً من أصحابه يخذف، فقال: لا تخذف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن

الخذف، وكان يكرهه، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: ألم أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عنه؟ ثم أراك تخذف؟ والله لا أكلمك أبدًا. [رواه مسلم]

وعن فراش بن جبير: رأيت في المسجد فتى يخذف، فقال له شيخ: لا تخذف، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف، ففعل الفتى، وظن أن الشيخ لا يفطن له، فخذف، فقال له الشيخ: أحدثك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الخذف ثم تخذف، والله لا أشهد لك جنازة، ولا أعودك في مرض، ولا أكلمك أبدًا. [سنن الدارمي (٤٣٨)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها». فقال أحد بنيه: إذن والله أمنعها، فاقبل عليه ابن عمر فشتمه شتيمة لم يشتمها أحدًا قبله قط، ثم قال: أحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: إذن والله أمنعها.[سنن الدارمي برقم (٤٤٨)].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان: ما أرى بهذا بأسًا يدًا بيد، فقال عبادة أقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: لا أرى به بأسًا، والله لا يظلني وإياك سقف واحد. [سنن الدارمي (٤٤٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها. قال: يريد المدينة. قال: فلو وجدت الظباء ساكنة ما ذعرتها. أي أفزعتها. [رواه البخاري]

وحدث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: قال فلان وفلان كذا، فقال ابن سيرين: أحدِّثك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: قال فلان وفلان كذا وكذا؟ والله لا أكلمك أبدًا. [سنن الدارمي (٢٤٧)].

وقال الشعبي لرجل: ما حدَّثك هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ به، وما قالوه برأيهم فالقه في الحش. [سنن الدارمي برقم ٢٠٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» [متفق عليه].

الصحابة نموذج فريد:

لزم الصحابة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما أمرهم به، وانتهوا عن كل ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت استجابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، سمعًا بلا تردد، وطاعة بلا انحراف ولا جدال، عن جابر رضي الله عنه قال: لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قال: «اجلسوا، فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «تعال يا عبد الله بن مسعود». [أبو داود وصححه الألباني]، فلم تسمح نفس عبد الله بن مسعود أن يتأخر عن تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يدخل المسجد ثم يجلس، بل جلس على باب المسجد، في لحظة سماعه للأمر.

وليس هذا شأن ابن مسعود وحده رضي الله عنه، بل الصحابة جميعًا. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، فكان أحب أمواله إليه بيرحاء - حائط يسمى بهذا الاسم - فكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس رضي الله عنه: فلما نزلت هذه الآية: «لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ » [آل عمران: ٩٢]، جاء أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك: «لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ » [آل عمران: ٩٢] وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها، وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مالاً رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. [متفق عليه].

نرى أن أبا طلحة سارع لأمر الله بالإنفاق، وبادر بالخروج من أحب أمواله إليه صدقةً لله تعالى.

وبادر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمره أن يجعلها في أقاربه، لم يسعه إلا السمع والطاعة.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: إن زوج بريرة كان عبدًا، يُقال له مُغيث، كأني

أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس: «يا عباسُ، ألا تعجبُ من حُبِّ مُغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو راجعته». قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفَع». قالت: لا حاجة لي فيه. [رواه البخاري].

علينا أن نتأمل قول بريرة: تأمرني يا رسول الله. فلا يحق لي أن أخالف أمرك، أم هي شفاعة فأرى رأيي، فهذه أمَة تفهم أن هناك فرقًا بين الأمر والشفاعة، الأمر لا يسعها فيه إلا أن تأتمر بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم دون إبطاء أو تسويف، حتى لوكان هذا ضد رغبات النفس.

ومن الأمثلة على السمع والطاعة في وقت المحنة، وفي الأمور الخاصة، دون تبرم أو ملل: موقف كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك حين صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل واحد منهم: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك».

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم. يقول كعب: وبعد مضي أربعين ليلة من الخمسين، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسولاً يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟

فقال: لا، بل اعتزلها فلا تقربها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. [رواه البخاري].

هل سمع التاريخ طاعة واستجابة لأمر رسول الله، والانتهاء عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا، مع الجفوة التي يجدها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنهم قوم تربوا على السمع والطاعة.

وعن علي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، قال: فلما خرجوا قال: وَجَدَ - حزن وغضب - عليهم في شيء، فقال: أليس أمركم الله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا حطبًا، فجمعوا، قال: أوقدوا نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فَهَمَّ القوم أن يدخلوها، قال: فقال لهم شابٌّ منهم: إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. [متفق عليه]

إنه الإيمان، إنه التسليم والاستسلام لله ورسوله.

قال: فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا، إنما الطاعة في المعروف». [متفق عليه].

عندما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ارتدت بعض قبائل العرب، بل وقصدوا مهاجمة المسلمين في المدينة، وصار الصحابة رضي الله عنهم كما وصفهم عمار بن ياسر كغنم بلا راعٍ، وصارت المدينة أضيق على أهلها من الخاتم.

وفي مثل هذه الأحوال الصعبة والظروف العسيرة جاء أمر إنفاذ بعث أسامة الذي كان قد جهَّزه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال أعداء الله تعالى في ديارهم، بعيدًا عن المدينة، ولكن الجيش كان قد توقف؛ نظرًا لشدة مرضه صلى الله عليه وسلم، فماذا كان موقف الصديق رضي الله عنه تجاه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم؟!

روى الإمام الطبري عن عاصم بن عدي قال: نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة، ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة، إلا خرج إلى عسكره بالجرف، ولما استأذن أسامةَ الصديقَ رضي الله عنهما في البقاء مع الجيش بالمدينة؛ نظرًا إلى تقلب الأحوال، كتب إليه الصديق: ما كنت لأستفتح بشيء أولى من إنفاذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولئن تخطفني الطير أحب إليَّ من ذلك. ثم قال الصديق رضي الله عنه: أنا أحبس جيشًا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! لقد اجترأت على أمر عظيم.

ثم قال لأسامة: امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هكذا كل مسلم رضي بمحمد رسولاً تابعه واتبعه، وسكن قلبه لأمره ونهيه، واطمأنت نفسه وانشرح صدره.

وللحديث بقية، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة واستعصاؤها على الحاقدين

إعداد / أ.د. السيد عبد الحليم محمد حسين

حمدًا لمن نضَّر وجوه أهل الحديث، ورفع مقامهم في القديم والحديث، وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد مرفوع المقام، أفضل الأنام، وخاتم الرسل الكرام، وعلى آله الأطهار وصحابته الغر الميامين الأخيار، والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فكما حفظ المولى تقدست أسماؤه كتابه فلم يدن منه بهرج التبديل، ولم يمازجه علل التصحيف، لقوله عز شأنه: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩].

كذلك قيض الله تعالى للسنة الغراء أفذاذًا موهوبين، وأئمة حفاظًا متقنين أنجبهم لنا التاريخ الإسلامي، وبلغوا القمة في الورع والتثبت، فأنفقوا أعمارهم في ضبط السنة وتحقيقها، ورحلوا إلى كل مكان للاطلاع على مخارج الأحاديث ومعرفة طرقها، حتى تربَّعوا على منصَّة الإتقان، واطمأنوا إلى ما ينقلونه عن سيد الأنام صلى الله عليه وسلم بالبيان.

فكما حفظ الله تعالى تنزيله الحكيم وتكفل به، حفظ سنته المطهرة من الزيف والدخيل، لأنها مفسرة لكتابه، مفصلة لإجماله، بل قال بعضهم: إن السنة المطهرة داخلة في مسمى الذكر، فيشملها الحفظ الإلهي، ولذلك نرى تواتر جهود المحدثين في كل عصر ومصر على تنقية السنة الغراء من كل دخيل مرذول، وتمييز الصحيح من السقيم، وطرح كل ما ليس منها، بل وإفراده بالتأليف حتى لا يغتر جاهل بها، أو يقع مستعجل في شَركها.

وبهذا أضحت السنة عذبة المورد صافية المنهل، ولم يعلق بها من دنس الاختلاف أيُّ غبار، بيد أنها مع ذلك ما زالت السهام المسمومة المتنوعة توجَّه إليها من كل حَدَب وصوب، إلا أنها تستعصي على الحاقدين، فالسنة النبوية قد توافرت لها عوامل الحفظ ووسائل التنقية إلى غاية ليس وراءها مرمى.

ومن أهم عوامل حفظها:

- ما كان يتمتع به الرعيل الأول والجيل المثالي رضي الله عنهم من صفاء الأذهان، وقوة القرائح؛ لأنها كانت أمة أميَّة، وغالبهم لا يقرأ ولا يكتب، والأميُّ يعتمد على ذاكرته فتنمو وتقوى لتسعفه عند الحاجة، إضافة إلى بساطة العيش وبعده عن التعقيد، فلذلك اشتهروا بالحفظ النادر، والذكاء العجيب.

قوة الدافع الديني؛ لأنهم موقنون أن ما يتلقونه عمن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم هو شرع يجب الأخذ به، فتلقوا سنته بغاية الاهتمام ونهاية الحرص، وقد ضاعف هذا الدافع في نفوسهم ترغيبه صلى الله عليه وسلم في حفظ السنة وتبليغها إلى الآخرين، وتكرار الوصية بذلك؛ كالحديث المتواتر: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وبلَّغها، فربَّ حامل فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه». [الترمذي: ٢٦٥٦ وصححه الألباني].

فكانوا يعتقدون وجوب الحفظ عليهم، ثم التبليغ.

وجوب التأسي به صلى الله عليه وسلم في سلوكهم العملي والخلقي دفعهم إلى حفظ الحديث والعمل بمقتضاه؛ ليتحققوا بالاتباع، والعمل بمضمون السنة يؤدي إلى حفظها، ويحول دون نسيانها.

كان النبي صلى الله عليه وسلم على علم أن الصحابة سيخلفونه في حمل الأمانة وتبليغ الرسالة؛ فكان يتبع الوسائل التربوية في إلقاء الحديث عليهم، فلم يكن يسرد عليهم الحديث سردًا متتابعًا، بل كان التأني سمته، والتكرار منهجه، ولم يكن يطيل الحديث، بل كان كلامه قصدًا، كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يحدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ... لأحصاه». [البخاري: ٣٥٦٨، ومسلم: ٢٤٩٣].

وعنه أيضًا: كما في «سنن الترمذي»: «ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يحفظه من جلس إليه». [سنن الترمذي: ٣٦٣٩ وحسنه الألباني].

ثم أسلوبه البياني، فقد أوتي صلى الله عليه وسلم قوى البيان وجوامع الكلم، واختُصر له الكلام اختصارًا.

وهذه الوسائل مجتمعة مكنت الصحابة رضي الله عنهم من الحفظ وإتقان الرواية عمن لا ينطق عن الهوى، إضافة إلى ما خامرهم من التقوى، ومازجهم من النور المحمدي، علمًا بأن بعض كتبة الصحابة كانوا يسجلون ما يسمعون من هذه الأحاديث، فقد أخرج البخاري عن

أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثًا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب». [البخاري: ١١٣].

ثم كانت الكتابة المرجع الأساس في عصر التدوين، وذلك أن كتابة الحديث مرّت بأدوار ثلاثة على وجه الاختصار:

أ- مرحلة جمع الحديث في صحف خاصة بالكتبة، وكانت بداية هذا الدور من العصر النبوي وبإذن صاحب الرسالة، ثم امتد إلى أول القرن الهجري الثاني على وجه التقريب.

ب- ثم تلت مرحلة التدوين والجمع، وهذه المرحلة بدأت من أول القرن الثاني الهجري، وقد أشار إلى هذه المرحلة الإمام السيوطي في «ألفيته» بقوله:

أولُ جامعِ الحديثِ والأثرْ

ابنُ شهابٍ آمرًا له عُمر

وكانت هذه المرحلة مجرد جمع للأحاديث في الصحف غالبًا، لم يراع فيها ترتيب ولا تبويب معين، إضافة إلى أنها جامعة للأحاديث والآثار؛ إذ المقصود التدوين العام؛ ليكون مرجعًا رسميًا معتمدًا متداولاً لا يخص صاحبه فقط.

المرحلة الثالثة: العصر الذهبي لتدوين السنة، وبدايتها من القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن الرابع تقريبًا، وفي هذه المرحلة دونت السنة وعلومها تدوينًا كاملاً، وأفردت الأحاديث النبوية بالتصنيف، ثم جاء البخاري فرأى إفراد الصحيح مرتبًا على الأبواب فوضع كتابه «الصحيح»، وتلاه مسلم وبقية الستة وهم - عدا النسائي - من تلامذته، فوضعوا كتبهم على الأبواب، وراعوا حسن الاختيار، وإن لم يشترطوا الصحة، إلا أنها أمهات وأصول، ثم تبع الشيخين في اشتراط الصحة ابن خزيمة المتوفى سنة (٣١١هـ)، ثم ابن حبان المتوفى سنة (٣٥٤هـ).

ثم اشتهرت الاصطلاحات الحديثية، واستقرت بين العلماء، وأصبح التصنيف فيها أمرًا متبعًا، ووسمت بعلوم الحديث.

ج- وقواعد التثبت في نقل السنة ظهرت في عصر النبوة؛ إذ أمر صلى الله عليه وسلم بالتثبت في الأخبار، ورهّب من الكذب عليه، كما في الحديث المتواتر: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» [متفق عليه].

قال أهل العلم: إن هذا التواتر العجيب لهذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أنه كان يعلم أن حديثه سوف يروى، وأنه يدخل فيه الغش، فرأى من الضرورة الشرعية أن ينبه أصحابه ويلقي في أذهانهم أنه الدين، ويجب أن يتحروا فيه غاية التحري، فكان من أثر هذا أن احتاط الصحابة في الرواية، وتحروا الدقة التامة فيها، وكان له وقعُ أثر فيمن جاء بعدهم من الأئمة الأمناء من التابعين ومن بعدَهم.

وكان الصدِّيق أول من احتاط في قبول الأخبار، فحين قال له المغيرة في الجدة: «حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس قال: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه». [تذكرة الحفاظ: ٢/١].

وشدة تثبت الفاروق في النقل مشهورة، فكان يفحص حتى يأتيه الفلج واليقين، وكذلك من سواهما من الصحابة؛ كعلي وزيد بن ثابت وعمران بن حصين وغيرهم.

وهكذا تضافرت الجهود وتتابعت على حفظ السنة الشريفة، والتثبت في نقلها وروايتها، وتنوعت دواعي حفظها، وتعددت وسائل ضبطها.

د- ثم اقتفى نهج الصحابة واستن بهديهم جماعةٌ من سادات التابعين، منهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعلي بن الحسين بن علي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد بن ثابت، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسليمان بن يسار، فجدُّوا في حفظ السنن والرحلة في طلبها، والتفتيش عنها والتفقه فيها، وتتبع الطرق، وانتقاء الرجال، وخلفهم من بعدهم خَلْف ساروا على نهجهم، واقتفوا أثرهم، وكانوا أهل همم عالية، ورحلات في طلب السنة متتالية، وتثبت فريد، وهكذا استمرت حلقات السلسلة في تكامل.

هـ- والمنهج النقدي الفريد الذي قعَّده علماء الحديث، وأملوا فيه شروطًا لقبول الحديث؛ لتكفل نقله عبر الأجيال بأمانة وضبط، كان أقوى وأحكم، وأعظم حيطة في أيِّ منهج في تمحيص الروايات والمستندات المكتوبة، فصان هذا المنهج السنة النبوية من الدس، ولم يغفل هؤلاء عما اقترفه الوضاعون، وأهل البدع والمذاهب السياسية من الاختلاق في الحديث، بل بينوا ذلك ودونوا أسباب الوضع وعلامات الحديث الموضوع، وألفوا في ذلك المؤلفات.

فأضحت السنة النبوية صافية المنهل، عذبة المورود، واضحة المعالم، وكل ما علق بها من كيد الحاقدين واختلاق الوضاعين مُيِّز، وطرح في يمِّ الإهمال.

و- ومع هذا التثبت الفريد في نقل السنة إلا أن لفيفًا من المستشرقين ومن شايعهم لا يعدموا حيلاً وتهمًا يلفقونها للتشكيك في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد أن أعياهم التشكيك في المصدر الأول القرآن الكريم، حتى قال المستشرق الألماني ردوي بارت سنة (١١٤٣م): «إن الهدف من الكتابات الاستشراقية كان إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي». [الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ص١١].

وقد أيد الحقيقة المذكورة المستشرق الإنجليزي مونتجمري وات عندما قال: «إن المفكرين الأوروبيين عمدوا إلى تشويه حقائق الإسلام، وتحت شعار الدراسات الاستشراقية ودعوى المنهجية الفارغة بدؤوا ينفثون السموم، ويدسونها في العسل، ويشككون في السنة النبوية، ومن ذلك قولهم في النقد الإسلامي للسنة: تهيمن النزعة الشكلية في القاعدة التي انطلق منها هذا العلم والعوامل الشكلية هي بصورة خاصة العوامل الحاسمة للحكم على استقامة وأصالة الحديث، أو كما يقول المسلمون: على صحة الحديث، وتختبر الأحاديث بحسب شكلها الخارجي فقط». [ضحى الإسلام ٢/١٣٠، ١٣١].

وتتلخص إشكالات المشككين هؤلاء فيما أسموه النقد الخارجي؛ يعنون السند وأحواله، ويزعمون أن المحدثين لم يعنوا بنقد المتن الذي يسمونه النقد الداخلي، هذا هو أشهر إشكالات المستشرقين، وهو أشدها ضعفًا، وأوهاها، كما سنوضحه، وقد أصيب بعدواهم بعض كتابنا؛ مثل الدكتور أحمد أمين، والدكتور أحمد عبد المنعم البهي، فقد تكرر في كلامهما الطعن في الحديث والمحدثين، بدافع تقليدهم ولهم أنصار، وتظاهروا أنهم عرفوا شيئًا خفي عن الأئمة العظام، وهي شبه أوهى من أن تطرح على بساط المناقشة؛ لأن المحدثين اتفقوا أنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن، والعكس أيضًا؛ فإنه لا تلازم بين ضعف السند وضعف المتن، وهذا في علم أصول الحديث موضع تسليم، بل كان النقد الداخلي أول علوم الحديث حين كان الناس متحققين بالعدالة وهو عصر الصحابة، والغريب في الأمر تناقض البهي، فقد قال في آخر مقالته ما نصه: «وقد ذكر العلماء وجوهًا في رد المتن بناء على معناه مع صحة السند». ومثل بقصة فاطمة بنت قيس، وقصة علي بن أبي طالب حين رد حديث معقل بن سنان في مهر من مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولم يسم لها مهرًا، فقال علي رضي الله عنه: «لا ندع كتاب ربنا لقول أعرابي بوّال على عقبيه».

ونقد الأسانيد الذي عابه العائبون وسموه شكليًا هو في حقيقة الأمر متصل اتصالاً وثيقًا بالنقد الداخلي؛ أي: نقد المتون؛ لأن توثيق الراوي يقتضي اختبار مروياته بعرضها على روايات الثقات، فإن وافقت.. عرفنا أنه ضابط ثبت.

ز- ويقول الباحثون: إن المستشرقين استفادوا من آراء المعتزلة حول السنة، ولذلك أشادوا بهم وأثنوا عليهم، وأطلقوا عليهم اسم المفكرين الأحرار في الإسلام، ووصفهم جولدزيهر بأنهم وسّعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصرًا مهمًا آخر وهو العقل الذي كان حتى ذلك الحين مبعدًا بشدة عن هذه الناحية.

والمعتزلة اعتبروا العقل رأس الأدلة، فقد قال القاضي عبد الجبار في معرض حديثه عن الأدلة الشرعية: «إن أولها العقل»، وقال إبراهيم النظام: «وإن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار».

وقد ذكر ذات يوم حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمام عمرو بن عبيد فقال: «لو سمعت الأعمش يقول هذا... لكذبته، ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا.. لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا.. لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا».

فهؤلاء جعلوا العقل حكمًا لا ترد كلمته.

وهذا المسلك راق لكثير من المستشرقين فعطفوا عليهم، وطفقوا يثنون عليهم، ويضفون عليهم ألقابًا جوفاء لا قيمة لها.

وقد تتبع البغدادي فضائح المعتزلة فضيحة فضيحة، وخاصة فضائح النظّام التي منها الطعن في كبار الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كما طعن في الخبر المتواتر، وجوّز أن يقع كذبًا مع قوله: إن الآحاد يوجب العلم الضروري، والتخبيط والتناقض سمة بارزة في كلام هذه الفرقة.

ح- وفتنة إنكار حجية السنة والتشكيك فيها بدأت مع ظهور الخوارج ثم المعتزلة بوجه خاص؛ لأن الشبه التي قامت في أذهان هؤلاء نتيجة لطغيان الفلسفة اليونانية؛ لأنهم ظنوا أن كل ما هو قادم من جهة الفلسفة موافق العقل، وأنه يجب أن تكون العقائد الإسلامية وأصولها وفقًا لتلك النظريات، ولما رأوا أن السنة تمنعهم وتعرقل سيرهم أنكروها وشككوا في صحتها، إلا أن الفئتين تلاشت صولتهما بعد مدة وبدأ يخفت أمرهما إلى أن ماتت الفئتان بنهاية القرن الثالث تقريبًا.

والعامل الوحيد في مقارعة هاتين الطائفتين هو جهود المحدثين المتتابعة التي أثبتت أنه لا مجال للشك في حجية السنة أو صحتها، ولكونها شارحة للقرآن الكريم مفصلة لما أجمل، وكان ليقظة ضمير الأمة الإسلامية الدور الكبير في رفض فكرة التحرر ونبذ السنة النبوية.

وخفت صوت الباطل واضمحلت صولات المبتدعين إلا أن هذه الفتنة أحياها من جديد شرذمة في البلدان العربية وأشخاص في شبه القارة الهندية.

فقد نشر توفيق صدقي مقالين له في «مجلة المنار» في العددين (٧، ١٢) من السنة التاسعة، أعلن فيهما رأيه تحت عنوان: «الإسلام هو القرآن وحده».

ولأحمد أمين في «فجر الإسلام» و«ضحاه» ما يومئ إلى هذا المسلك أو قريبًا منه، وكذلك ممن أثاروا فتنة التشكيك في السنة المطهرة إسماعيل أدهم فيما كتبه عام (١٣٥٣هـ).

ثم تسلم الراية أبو رية وكتب بحثه الذي أسماه

«أضواء على السنة المحمدية» فتطابقت أسباب إحياء هذه الفتنة من جديد بنفس الأسباب التي دعت الخوارج والمعتزلة إلى إنكار السنة والإعجاب الشديد بالنظريات الأجنبية عن الإسلام، ومحاولة صبغة الإسلام بلون تلك النظريات الدخيلة، وتعددت الردود على ظلمات أبي رية من الغيورين.

ولذلك كانت مصادر هؤلاء هي نفس المؤلفات التي نفث فيها المستشرقون سمومهم من الشبهات للغض من المصادر الإسلامية وأصولها، ومن ثم نشأت فكرة «أهل القرآن» أو «القرآنيون» ويقول الدكتور محمد لقمان السلفي: «وأصبحت مؤامرة محبوكة في شبه القارة الهندية، واتخذت طابع جماعة منظمة منذ أوائل هذا القرن».

ط- وهذا نموذج من هذا الغثاء ليتنبه الفطن إلى المؤامرات التي تحاك ضد السنة النبوية والمحدثين العظام، ليدرك مدى خطورة هذه الأقلام على الفكر العام من جهة، وقلة بضاعة هؤلاء الكُتَّاب وأئمتهم من علوم الشرع عامة ومن علم الحديث خاصة.

قال أحمد أمين في «فجر الإسلام»: «حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة، لاقتصاره على نقد الرجال».

وهذا محض توهم وخروج عن دائرة الحقائق الناصعة.

وقال في «ضحى الإسلام»: «والحق أن المحدثين عنوا عناية تامة بالنقد الخارجي.. ولكنهم لم يتوسعوا كثيرًا في النقد الداخلي، فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أم لا؟»

وقال أبو رية في مقدمة كتابه: «وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل، فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم في معرفة رواة الحديث والبحث على قدر الوسع في تاريخهم، ولا عليهم إن كان ما يصدر عن هؤلاء الرواة صحيحًا في نفسه أو غير صحيح، ومعقولاً أو غير معقول، ذلك أنهم وقفوا بعلمهم عندما يتصل بالسند فحسب، أما المعنى.. فلا يعنيهم من أمره شيء».

ويقول أحمد زكي أبو شادي: «وهذه سنن ابن ماجه والبخاري بل وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل، ولا نرضى نسبتها إلى الرسول، وأغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين وبالنبي الأعظم والعياذ بالله».

ويقول إسماعيل أدهم: «الأحاديث الموجودة في «الصحيحين» ليست ثابتة في الأصول والدعائم، بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع».

والقائمة طويلة طويلة، وكلها على هذا المنوال، كلام إنشائي تقيده الأقلام، وتمج فيه عداءً قويًا للسنة وحملتها وللشريعة وتعاليمها.

بيد أن الله تعالى رافع راية هذه الطائفة المنصورة، ومعز دينه بها، ففي الصحيحين وغيرهما من حديث جماعة من الصحابة قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» [متفق عليه].

قال البخاري رحمه الله: «هم أهل العلم». وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟».

قال القاضي عياض: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث».

وقال النووي رحمه الله: «يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا متفرقين في جميع أقطار الأرض، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن الوصف ما زال بحمد الله تعالى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث».

وهو دليل على أنه يؤهل الله تعالى من يشاء ليرجع إليه المسلمون فيما يحتاجون من أمور الدين والعلوم الشرعية في كل عصر ومصر.

ك- قال أهل العلم: إن الإجماع قد انعقد على صحة أحاديث «الكتابين»، فإذا قيل: هذا الحديث رواه البخاري أو مسلم.. كان ذلك كافيًا للحكم بصحة الحديث، لا حاجة إلى أن يحكم عليه بالصحة إلا أن يكون التنطع والتشبع.

ومن عجيب أمر من اصطنع ذلك في عصرنا أنه يشهد بقول السابقين: «صحيح أخرجه البخاري»، أو «صحيح متفق عليه» فيجعله دليلاً لصحة قوله مثلاً: «أخرجه البخاري، قلت: وهو صحيح» مع أن البون شاسع ظاهر بين العبارتين؛ الأولى: تأكيد للصحة بإخراج البخاري أو مسلم، والثانية: تأسيس لحكم جديد للحكم بالصحة كما لا يخفى على من له إلمام بالعربية.

ل- و «صحيح البخاري» على وجه الخصوص، حظي بالعناية التامة من كل وجه، وخدم الخدمات الفائقة من سائر النواحي، وأقبل على دراسته وتدريسه وإملائه، العالم الإسلامي في كل قطر وعصر، وظهرت بركته في الآفاق، وكانت أحاديثه من حيث الثبوت محل اتفاق.

نسأل الله العظيم أن يرفع في الجنة درجات المحدثين الثقات وسائر علماء المسلمين الأثبات، وأن يلحقنا بهم على خير، والحمد لله رب العالمين.



قصة ابني آدم (٢) داء الأمم

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أيها الأخ الكريم: هذا لقاؤنا الثاني مع قصة قابيل وهابيل، وهو الأخير، نستخلص فيه بعض الفوائد والدروس والعبر التي استفدناها من هذه القصة، ونجملها بعون الله فيما يلي:

١- خطورة الحسد:

الحسد هو أول ذنب عُصِيَ اللهُ به في السماء، وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض، فالحسد كان سببًا في معصية إبليس؛ فامتنع عن تنفيذ أمر الله بالسجود لآدم، فهذه معصية السماء.

والحسد هو الذي دفع قابيل إلى قتل أخيه هابيل، وهذه أول معصية في الأرض.

وهو الذي منع اليهود من اتباع النبي محمد الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فكان يهود المدينة يعرفون الرسول كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك لما جاءهم ما عرفوا كفروا به.

والحسد هو الذي منع المشركين في مكة من اتباع النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم، مع يقينهم بصدقه وأمانته، قال الله تعالى: « قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ » [الأنعام: ٣٣]، هذا خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والظالمون الجاحدون هم كفار قريش.

وكما منع الجحود قريشًا من الإيمان مع علمهم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته، كذلك منع فرعون من الإيمان بموسى، وعادًا وثمود من الإيمان برسلهم، والجحودُ متولد من الحسد.

الحسد يؤدي إلى الاعتراض على أمر الله كما فعل إبليس حين ردَّ أمر الله الواضح الصريح برأيه الفاسد القبيح، وكما فعل قابيل واعترض على أمر الله سبحانه حين تقبَّل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، وكانت النتيجة البغي والعدوان

فقتل قابيل هابيل.

وكما أن الحسد من صفات اليهود والمشركين فهو كذلك من صفات المنافقين، وإن الله تعالى جامعهم في جهنم جميعًا.

قال ابن المعتز: «الحسد داء الجسد»، وقال: «الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه، طالبٌ ما لا يجده».

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وقيل: ما خلا جسد من حسد، إلا أن الكريم يكتمه، والبخيل يعلنه». [الفتاوى: ١٠/١٢٤، ١٢٦]. فالكريم يكتم حسده فيتحول إلى غِبطة، وهو الحسد الممدوح، والبخيل يعلنه وهو الذي أمرنا الله أن نستعيذ بالله منه، وهو تمني زوال نعمة العبد وهو الحسد المذموم.

٢- بشاعة القتل وتعظيم حرمة الدماء:

في هذه القصة بيان واضح لبشاعة جريمة القتل، ويظهر ذلك جليًا في اللقطات التالية:

الأولى: الصورة التي صوّر الله بها قابيل بعد ارتكابه جريمته البشعة وقبلها؛ فقبل الجريمة بدا قابيل لا يتقي الله في أفعاله ولا أقواله، والأدلة على ذلك كثيرة، منها أنه قدّم لله قربانًا فلم يقبل منه، وإنما يتقبل الله من المتقين، فقابيل ليس من المتقين، ومنها أنه تجرأ على قتل أخيه دون ذنب ارتكبه أخوه إلا أنه من المتقين، ثم انظر صورته بعد ارتكابه الجريمة وكيف أصبح من الخاسرين، ولم يهتدِ لدفن أخيه، وعجز أن يكون مثل الغراب فيواري سوءة أخيه.

الثانية: أن الله - سبحانه وتعالى - عقّب بعد القصة بهذا التعقيب الذي تنخلع له القلوب كما قال تعالى: «مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة: ٣٢].

ولا يزال ابن آدم الأول له نصيب من كل جريمة قتل تقع في الأرض؛ لأنه أول من سن سُنة القتل في الأرض، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ منها؛ لأنه أول من سن القتل». [متفق عليه].

وهذه سنة سيئة سنّها ابن آدم الأول فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» [رواه مسلم وغيره].

٣- تعظيم حرمة الدماء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

كما جاء بعد القصة تحريم القتل على بني إسرائيل وتصويره بصورة قتل الناس جميعًا لمن قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض، جاء بعدها مباشرة تشريع لحماية المجتمع، ولعصمة الدماء؛ تشريع يحفظ دماء الناس وأعراضهم وأموالهم في قوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [المائدة: ٣٣]. جاء بعد الآية السابقة مباشرة، وكلتاهما جاءتا تعقيبًا على القصة، وواضح من الآية أهمية حماية المجتمع، وحماية أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم وصيانة الدماء والأعراض والأموال.

وانظر كيف نعتهم الله بأنهم يحاربون الله ورسوله وهم ليسوا كفارًا محاربين، بل هم أفراد من المجتمع يقطعون الطريق ويسفكون الدماء، ويعتدون على الحرمات وهم من المسلمين، لكنهم خرجوا على النظام والأمن، وهذه الآية تعرف عند العلماء بآية الحرابة أي التي تبين حد الحرابة الذي يجب تطبيقهُ على هؤلاء الخارجين عن النظام، فعلى ولي الأمر أن يطبق عليهم إحدى العقوبات المذكورة في الآية الكريمة على حسب ما ارتكبوا من جُرْم، وعلى ولي الأمر أن يختار من العقوبة ما يتناسب مع جرمهم، فليس من سرق فقط كمن سرق وقتل، وحالات القتل تختلف أيضًا باختلاف أحوالها.

والحاصل أن المقصد في النهاية هو حماية الدماء والأموال والأعراض والحفاظ على أمن المجتمع، وهذا الذي شدّد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم موقف وقفه وآخر موقف وقفه في المكان والزمان في حجة الوداع، فقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا». [متفق عليه].

فأين المسلمون اليوم من تطبيق حد الحرابة، بل ومن تطبيق حدود الله كافة، ويكفي لبيان

حرمة الدماء وبشاعة القتل أن تقرأ أو تسمع لهذه الآية الكريمة: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

هذا الوعيد الشديد الذي لم تر في القرآن من بدايته إلى نهايته وعيدًا مثله إن دلَّ على شيء إنما يدل على عظيم حرمة الدماء.

وقد استفاضت السنة النبوية بذكر تعظيم حرمة الدماء والأموال والأعراض، ذكرنا فيها كلمات النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ونذكر أيضًا ما صح عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصيب دمًا حرامًا» [رواه البخاري]. وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

والحق الذي جاءت به السنة الصحيحة إحدى ثلاث:

١- الثيب الزاني.

٢- قاتل النفس.

٣- التارك لدينه المفارق للجماعة (المرتد).

كما صحَّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصان، أو ارتد بعد إسلام أو قتل نفسًا بغير حق» [رواه البخاري].

هذا، والأحاديث كثيرة لا يتسع المجال لإيرادها، فإذا أضفناها إلى ما تقدم من آيات وإلى حد الحرابة وغيره من الحدود يتبين لنا مدى حرص الإسلام على الدماء والأعراض والأموال، ومدى حرص الإسلام على أمن المجتمع عامة وأمن المسلم خاصة وليس هذا فحسب، بل الإسلام حريص كل الحرص على منع المقدمات من القول والعمل التي تؤدي إلى تهديد المسلم أو ترويعه بأي صورة من الصور، وهذا ما يسمى في التشريع الإسلامي بسد الذرائع يعني إغلاق كل باب يؤدي إلى فتنة، ومن ذلك ما أعلنه النبي صلى الله عليه وسلم محذرًا وناهيًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» [رواه البخاري]. وقال أيضًا: «من حمل علينا السلاح فليس منا» [متفق عليه]. وقال أيضًا صلاة ربي وسلامه عليه: «لا يشيرنْ أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار» [متفق عليه]. أي: بقتل أخيه أو جرحه.

ولقد أطلت النفَس نوعًا ما في هذه الوقفة لأهميتها في الوقت الذي نعيشه الآن وفي الأحوال غير المعهودة التي تمر بها البلاد، نسأل الله لها السلامة، فقد استهان كثير من الناس بالدماء والأعراض، ونهب الأموال بصورة لافتة للنظر، وبصورة لم نعهدها، ولا شك أن الأمر يحتاج من الجميع إلى وقفة للمراجعة لتحديد الأسباب والدوافع، ووضع خطط العلاج والاستئصال، فهناك أمور يمكن معالجتها مثل الجهل يعالج بالعلم والتربية، والفراغ الذي يعالج بفرص عمل مناسبة، أما العمالة والمؤامرة فليس لها علاج إلا الكشف وبيان الحقائق، والحزم في معاملة المتورطين مهما كانت اتجاهاتهم وأوضاعهم، وليتق الله كل مسلم في نفسه وفي أخيه وفي وطنه، وليحزم أولو الأمر أمرهم وليضربوا بيد من حديد على العابثين بممتلكات الناس وأرواحهم، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

٤- أما الفائدة الرابعة والأخيرة في هذا الموطن: فهي تقوى الله، وهذه أهم الفوائد التي نتعلمها من قصة قابيل وهابيل، فتقوى الله هي أصل صلاح العمل وأساس قبوله، وهي طريق صلاح الدنيا والآخرة، وسبب بركات الأرض وبركات السماء، وهي مفتاح سعادة الأمم وسعادة الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم وهي طريق النجاة من غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة، ولو اتقى الله الراعي والرعية لساد الأمن والأمان والعدل والإحسان والحق والوئام، أصلح الله مصر وشعبها وقادتها.

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.



شبهات حول الصحابة

معركة صفين

«٣٧هـ»

الحلقة الأولى

إعداد / أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فبعد مقتل عثمان رضي الله عنه، أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما قميصه الذي قُتل فيه إلى أهل الشام بعد أن أخذته من أهله، وكان ملطخًا بدماء عثمان ومعه أصابع زوجته نائلة التي قُطعت عند دفاعها عنه بيدها، ولما وصل القميص إلى معاوية رضي الله عنه وضعه على المنبر، وعلق أصابع نائلة فيه، والناس يتباكون من حوله، وعزم أهل الشام على الثأر لعثمان، بل تعاهدوا ألا يمسوا النساء ولا يناموا على الفُرُش حتى يقتلوا قتلة عثمان. [راجع البداية والنهاية ٦/٥٣٩].

كل ذلك قبل بيعة علي رضي الله عنه، ولا عجب في ذلك، فالصورة التي وصلتهم عن حال المدينة عند مقتل عثمان هيّجت نفوسهم وهزت مشاعرهم، وذرفت منها دموعهم، فبينت أن الأمن مسلوب وأصابع زوجة عثمان مقطوعة، وأمير المؤمنين قميصه ملطخ بدمه بعد حصاره. [راجع تاريخ الطبري ٥/٦٠٠].

وجدير بالذكر أن أهل الشام إنما امتنعوا عن بيعة الإمارة لأن قتلة عثمان في جيش علي كما يزعمون، فرأوا أن البيعة لا تجب عليهم إلا بعد الثأر لعثمان، وكان معاوية وهو ولي دم عثمان يردد قول الله سبحانه: «وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا» [الإسراء: ٣٣]، فضلاً عن الحديث الذي وصله عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب منكب عثمان رضي الله عنه وقال له: «يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني». [رواه أحمد في المسند: ٢٤٠٤٥ والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

ومع تعدد الكُتب والرسائل التي وردت لمعاوية رضي الله عنه بالشام

من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، إلا في الشهر الثالث من مقتل عثمان، بعث بصحيفة إلى علي رضي الله عنه، فلما جاء رسول معاوية سأله عما وراءه؟ فقال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود، كلهم موتور يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق. [البداية والنهاية: ٦/ ٢٦٠].

عزم علي رضي الله عنه على قتال أهل الشام مع معارضة ابنه الحسن له؛ لما فيه من سفك للدماء واختلاف الأمة، لكن عليًا رضي الله عنه رأى أنه لا بد من قتال من عصاه بمن أطاعه، فرتب الجيش وعين ميسرته وميمنته ومقدمته، ودفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبق له إلا الخروج إلى الشام، ولكن نزل به ما شغله وهو خروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فكانت موقعة الجمل. [البداية والنهاية ٧/ ٢٤٠].

بعد موقعة الجمل أرسل علي رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجلي لمعاوية يخبره باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في موقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، بيد أن معاوية وأهل الشام أبوا البيعة إلا بعد الثأر لعثمان أو تسليمهم لهم ليثأروا هم بأنفسهم من قتلته، فرجع جرير من الشام وأخبر عليًا بما قالوا. [علي بن أبي طالب؛ للصلابي ص٤٦٣].

وبعد دخول جرير رضي الله عنه بردّ أهل الشام عزم علي رضي الله عنه على غزوهم، فاستنفر الناس وجهز جيشًا ضخمًا، اختلفت فيه الروايات من حيث العدد، وأصحها أن الجيش وصل إلى خمسين ألفًا. [راجع تاريخ خليفة ص١٩٣].

وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أهل الشام، وخطب فيهم قائلًا: إن عليًا نهد إليكم في أهل العراق، فقالوا له: عليك الأمر وعلينا الفعال. [راجع الإصابة ١/ ٤٨٠].

وبايع أهل الشام معاوية على القتال والمطالبة بدم عثمان، وقام عمرو بن العاص بتجهيز جيش الشام، وعقد ألويته وخطبهم محفزًا لهم ومحرضًا لحميتهم، وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد جيش الشام كذلك، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، ونزل جيش معاوية بصفين أسفل الفرات قبل وصول جيش عليّ إليها.

ولما وصل جيش عليّ إلى صفين حيث عسكر معاوية فوجئ جيش العراق بمنع معاوية الماء عنهم، فدار القتال على هيئة كتائب صغيرة بين الفريقين أملًا في الصلح وخشية الهلاك والاستئصال وصيانة للدماء والأرواح، لذا تجنبوا القتال بكامل الجيش. [راجع: علي بن أبي طالب؛ للصلابي ص٤٦٧].

وبدخول شهر الله المحرم بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة، طمعًا في الصلح والموادعة، لكن الحرب عادت إلى ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية التي قُدرت بأكثر من سبعين وقعة. [راجع شذرات الذهب ١/ ٤٥].

بيد أن الالتحام الكلي للجيش وقع بعد ذلك وحمي وطيس المعركة، واستمر القتل في الجانبين، فتارة يقدم أهل العراق، وأخرى يشتد أهل الشام، غير أن القتال كان يتوقف عند أداء الصلاة، فيصلي كل فريق في معسكره، وجثث القتلى تفصل بين الفريقين، وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه في جيش علي وقد كان يحارب بحماس ويستنهض الهمم ويحرّض الناس، لكنه كان بعيدًا عن الغلو، حيث سمع رجلًا بجواره يكفر أهل الشام فنهاه عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتل بغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة». [مصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ٢٩٠].

أخذ عمار رضي الله عنه يحث أصحابه ويبين لهم أنهم على الحق حتى استطاع أن يرفع الروح المعنوية لجيش العراق حيث كان يردد زُفَّت الجنة وزينت الحور العين، من سره أن يزف إلى الحور العين فليقدم بين الصفين محتسبًا حتى وقع شهيدًا بين جيش معاوية، وبعد طول مدة القتال وسقوط كثير من الجيش صرعى بين إخوانهم، لم يكن الأمر يحتمل المزيد

من القتال فرفع جيش معاوية المصاحف رغبة في وقف القتال وحقن الدماء، وهذه رغبة الفريقين ولا يضر معاوية أو عمرو بن العاص شيء في أن يبادر أحدهم إلى وقف القتال وحقن الدماء وينقذ الأمة المتصارعة بيد أن السبئية والمنافقين الذين يسعون لإشعال نار الفتنة يضعون المرويات الكاذبة، حيث نسبوا زورًا وكذبًا إلى علي رضي الله عنه أنه قال: ما رفعوا المصاحف لكم إلا خديعة، بل زادوا في إجرامهم وقالوا عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة، فلعنة الله على الظالمين.

وقد وقع كثير من المؤرخين المعاصرين في ذلك الزلل، وراح يردد مرويات السبئية بشأن عمرو بن العاص رضي الله عنه ونسبه إلى المكر والخديعة كحسن إبراهيم حسن في «تاريخ الإسلام»، ومحمد الخضري في «تاريخ الدولة الأموية»، وعبد الوهاب النجار في «تاريخ الخلفاء»، فليحذر الباحثون والقراء من تلك المرويات السبئية التي تسيء إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. [الكامل: ٢/٣٨٦].

بل إن الصحيح من المرويات تشير إلى أن عليًا قَبِل التحكيم، وقال عندما عُرض عليه: أنا أولى بذلك ولم يطع طائفة الخوارج الذين حملوا سيوفهم على عواتقهم وأرادوها فتنة لا تنقطع، فرجع ورجع الناس عن القتال. [مسند أحمد ٨/٤٨٣].

وأظهر سهل بن حنيف نفوره من الذين يرون استمرار القتال بين الإخوة، وقال: أيها الناس، اتهموا رأيكم على دينكم... [البخاري: ٤١٨٩].

إن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه رَضِيَ بالتحكيم وأوقف القتال، وعَدَّ ذلك فتحًا وعاد إلى الكوفة، ولا شك أن في قبوله للتحكيم والاستجابة له فوائد عديدة منها:

١- حقن الدماء الغزيرة، وخوف الفناء على الفريقين لكثرة عدد القتلى منهما.

٢- الاستجابة لصوت الوحي وأمر الله الذي قال: «فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ» [النساء: ٥٩].

٣- القضاء على الملل الذي أصاب الفريقين من طول القتال حتى كانوا يرددون: «أكلتنا الحرب ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة». [راجع صفين ٤٨٢، ٤٨٥].

٤- الاستجابة لرغبة الطرفين في وقف القتال حيث كتب معاوية إلى عليّ، قائلاً: «فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقي منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي». [دراسات في عهد النبوة: ص٤٣٢].

ومما لا شك فيه أن قتل عمار بن ياسر كان له أثر سلبي على جيش معاوية ودفع عمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب؛ لأنه فهم معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». فقال عمار: أعوذ بالله من الفتن. [رواه البخاري: ٤٤٧].

ويكفي أن الذهبي قال عن هذا الحديث: إنه متواتر، وكذا قال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قاله.

ومع تأويل معاوية للحديث تأويلاً فاسدًا حيث قال: إنما قتله الذي أخرجه، إلا أن ذلك لم يقنع معسكر معاوية، فالنهي بيِّنٌ واضح الدلالة وهو عَلَم من أعلام النبوة، وردّ على النواصب الزاعمين أن عليًا لم يكن مُصيبًا في حروبه. [فتح الباري: ١/٦٤٦].

وهذا يشير إلى صحة إمامة عليّ ووجوب طاعته كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية. [مجموع الفتاوى: ٤٩٤].

وختامًا أنقل قول الحافظ ابن كثير في هذا الحديث: كان عليّ وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وكذا قال النووي وابن حجر والذهبي وابن العربي وغيرهم من علماء الأمة المتقدمين والمتأخرين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى. والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

نصيحة قرآنية في الأحداث الحالية

قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [آل عمران: ١٠٣]

من دلائل النبوة

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس أُصيب سلمة، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة. [رواه البخاري ٣٩٦٩]

تحذير لأصحاب المشروع الإسلامي

عن مجاهد قال في قوله تعالى: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ». قال: (المعنى) لا تختلفوا فتجبنوا ويذهب نصركم. [الدر المنثور].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قل اللهمَّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرَّحيم». [صحيح البخاري ٧٩٩].

أهم صفات من تختاره رئيسًا للبلاد..

العدالة: أي أن يكون على دين وخُلق، لا يُعرف عنه الكذب أو أي خُلق مناف للعدالة- العلم: أي مُلم بالعلوم الشرعية والدنيوية- تدبير مصالح العباد في أرزاقهم ومعاشهم- الشجاعة وأن لا يخاف في الله لومة لائم - الحكمة وهي اللين في غير ضعف والشدة في غير عنف - تطبيق المشروع الإسلامي وهو تعبيد الناس بالإسلام والسنة الصحيحة الخالية من الشرك والبدع.

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

التضرع إلى الله في وقت الهم والضيق

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ» [أبو داود (٥٠٩٢) وحسنه الألباني].

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر». [سنن بن ماجه ٩٧ وصححه الألباني].

الحاقدون على الإسلام يفضحون..!

قال: عثمان- رضي الله عنه-: «ما أسرّ أحد سريرة إلّا أظهرها الله عزّ وجلّ على صفحات وجهه وفلتات لسانه». [الآداب الشرعية]

من أقوال السلف

عن ابن مسعود قال: «إنّا نقتدي ولا نبتدي، ونتّبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسّكنا بالأثر».

عن الحسن البصريّ قال: «إنّما هلك من كان قبلكم حين تشعّبت بهم السّبل، وحادوا عن الطريق فتركوا الآثار وقالوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا». [الاعتصام للشاطبي]

حكم ومواعظ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: توشك القرى أن تخرب وهي عامرة. قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجّارُها أبرارَها، وساد القبيلةَ منافقُوها.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً. [الجواب الكافي]

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

طرق معرفة المقاصد

الحلقة (٣٨)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

في الحلقة السابقة بدأنا البحث في مسألة «طرق معرفة المقاصد» فذكرنا منها طريقين: الأول: الأوامر والنواهي. والثاني: اعتبار علل الأمر والنهي، ونستأنف الكلام في الطريق الثاني علل التعليل.

ويثار سؤال هام بين أيدينا ألا وهو: هل الأصل في جانب العبادات التسليم والتعبد أم التعليل؟

أولاً: نصوص الشريعة إنما وُضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أئمة الفقه متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكام الشريعة. [منهاج السنة ١/٩٥].

ويقول ابن القيم: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها». [إعلام الموقعين: ٣/١١].

وكما قال القرطبي: لا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قُصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية. [تفسير القرطبي: ٢/٦٤].

فإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من التساؤل والبحث ما أمكن عن هذه المصالح الدينية والدنيوية التي تنطوي عليها الأحكام الشرعية، لنفهمها ونطبقها في ضوء مصالحها ومقاصدها، ولنهتدي بمعرفة تلك المصالح والمقاصد فيما لم ينص عليه.

وكما أن من لا يؤمن بقوانين الكون واطِّرادها واستقرارها وكمالها ودقتها، لا يمكن أن يتقدم في أي علم من العلوم المادية، فكذلك من لا يؤمن بحكمة التشريع الشاملة، وبقوانينه المطردة، وبقواعده المضبوطة لا يمكن أن يتقدم في علوم الشريعة أبدًا. [نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ١/٢٣٢].

ثانيًا: أحكام الشرع إما تعبدية أو معقولة المعنى:

١ - الأحكام التعبدية: هي التي لا يظهر للعباد فيها حكمة تشريعها، إلا مجرد التعبد، فهي لاختبار عبودية العبد، فإن أطاع أثيب، وإن عصى عُوقب.

مع التسليم أن ما من تشريع دقيق ولا جليل إلاَّ وفيه حكمة، يعلمها من يعلمها ويجهلها من يجهلها، أو تحجب عن الجميع ابتلاءً من الله لعباده.

ونقصد هنا بالحكمة: أي ما يراه العبد من مصلحة من المحافظة على نفسه أو عرضه أو دينه أو ماله أو عقله.

أما المصالح الأخروية - من دخول جنة الله تعالى، والخلاص من عذابه - فهي ملازمة لتلبية كل أمر أو نهي، عُرفت حكمته أم لم تعرف.

وهذه الأحكام التعبدية تشمل العبادات والمعاملات طالما لم تدرك حكمتها وعلتها. [انظر الموسوعة الفقهية ١٢/٢٠٢].

ومن أمثلة التعبديات:

يذكر بعض الأصوليين أن التعبديات أكثر ما

تكون في أصول العبادات، كاشتراع أصل الصلاة، أو الصوم أو الاعتكاف، وفي نصب أسبابها، كزوال الشمس لصلاة الظهر، وغروبها لصلاة المغرب، وفي الحدود والكفارات، وفي التقديرات العددية بوجه عام، كتقدير أعداد الركعات، وتقدير عدد الجلدات في الحدود، وتقدير أعداد الشهود.

وذكر الشاطبي في أمثلة وقوعها في العادات، فقال: وإن الغالب في العادات الالتفات إلى المعاني، فإذا وُجد منها التعبد فلا بدّ من التسليم والوقوف مع المنصوص: كطلب الصداق في النكاح، والذبح في المحل المخصوص في الحيوان المأكول، والفروض المقدرة في المواريث، وعدد الأشهر في عدة الطلاق وعدة الوفاة.

وما أشبه ذلك من الأمور التي لا مجال للعقول في فهم مصالحها الجزئية (عللها) حتى يقاس عليها غيرها. [الموافقات ٢/٥٢٥].

٢- الأحكام معقولة المعنى (المعللة):

وهي كما ذكرنا غالب الأحكام الشرعية سواء كانت عبادات أم معاملات، وتُبيِّن وجه الحكمة فيها وتُدرك عللها.

وقد ذكرنا أمثلة من العبادات معقولة المعنى: كالصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، وهي المباني الكبرى للإسلام.

ومن ذلك في العادات: يقول الشاطبي: فنرى الشيء الواحد يُمنع في حال لا تكون فيه مصلحة، فإذا كان فيه مصلحة جاز، كالدرهم بالدرهم إلى أجل، يمتنع في المبايعة (حديث الربويات الست)، ويجوز في القرض، وبيع الرطب باليابس، يُمتنع حيث يكون مجرد غرر وربا من غير مصلحة، ويجوز إذا كان فيه مصلحة راجحة (كما في تمر العرايا أبيح بيعه بالرطب توسعة على الناس). [الموافقات ٢/٥٢٠].

[العرايا: هو بيع الرطب على النخل بتمر في الأرض، وهو جائز عند جمهور الفقهاء، وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في بيع العرايا أن تباع بخرصها كيلاً. [البخاري]. والخرص هو تقدير التمر على النخل بالخبرة والظن الغالب].

ثالثًا: المفاضلة بين التعبدي ومعقول المعنى:

اختلف العلماء في ذلك، فنقل ابن عابدين عن صاحب الفتاوى أنه قال: لم أقف على شيء من ذلك لعلمائنا في هذا، سوى قولهم: الأصل في النصوص التعليل، فإنه يشير إلى أفضلية المعقول معناه.

ونقل ابن حجر عن العز بن عبد السلام أن التعبدي أفضل؛ لأنه بمحض الانقياد، بخلاف ما ظهرت علته، فإن مُلابسه (فاعله) قد يفعل لتحصيل فائدته، وخالفه البلقيني، فقال: لا شك أن معقول المعنى من حيث الجملة أفضل، لأن أكثر الشريعة كذلك.

وظاهر كلام الشاطبي الأخذ بقول من يقول: إن التعبدي أفضل، ومذهب الغزالي في ذلك أن التعبدي أفضل، حيث قال: إن ما لا يُهتدى لمعانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس.

وفي حاشية ابن عابدين: أن هذين القولين في الأفضلية (أي المفاضلة بين التعبدي ومعقول المعنى) هما على سبيل الإجمال، أما بالنظر إلى الجزئيات، فقد يكون التعبدي أفضل كالوضوء وغسل الجنابة؛ فإن الوضوء أفضل، وقد يكون المعقول أفضل كالطواف والرمي، فإن الطواف أفضل. [انظر الموسوعة الفقهية ١٢/٢١٢-٢١٣].

رابعًا: العبادات معللة في أصل شرعها وفرضيتها، وتعليلاتها منصوصة، لا مستنبطة ولا مظنونة، أمثلة ذلك:

- الصلاة: قال الله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ» [العنكبوت: ٤٥]. فذُكرت علة الصلاة وهي النهي عن الفحشاء والمنكر.

- الصيام: قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣]. فذكرت علة الصيام وهي تحقيق التقوى.

- الحج: «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ» [الحج: ٢٧].

فالعلة شهود المنافع الأخروية والدنيوية، كما ذكر الله سبحانه.

- الزكاة: قال الله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا» [سورة التوبة: ١٠٣]. فالعلة تطهيرهم من الذنوب والمعاصي وتزكية أنفسهم.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم علة أخرى لفرضية الزكاة كما بحديث ابن عباس

رضي الله عنهما لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى اليمن، فإن فيه: «... فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم..» [متفق عليه].

وقد ذكر الله تعالى مصارف الزكاة الثمانية في سورة التوبة: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [سورة التوبة: ٦٠].

فمقصود الزكاة وعلتها سد حاجة الأصناف الثمانية.

فيقول الشافعي رحمه الله وهو من المقلين في التعليل عمومًا، وفي تعليل العبادات خاصة: «أن الزكاة مؤونة مالية (أي نفقة من النفقات المالية الواجبة على المكلف) وجبت للفقراء على الأغنياء، بقرابة الإسلام، على سبيل المواساة، ومعنى العبادة تبع فيها، وإنما أثبته الشرع ترغيبًا في أدائها، حيث كانت النفوس مجبولة على الضنة والبخل، فأمر بالتقرب إلى الله تعالى بها، ليطمع في الثواب ويبادر إلى تحقيق المقصود». [تخريج الأصول على الفروع للزنجاني ١١٠، ١١١].

وفقه الزكاة، لا تكاد نجد حكمًا من أحكامها إلا وقد علله الفقهاء، إن لم يعلله فقيه، علله الآخر، وكلها تعليلات تراعي المصلحة.

ففي زكاة الفطر فرضها النبي صلى الله عليه وسلم كما بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين. [متفق عليه].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كنا نخرج في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعًا من طعام، قال أبو سعيد: وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط (لبن مجفف) والتمر. [البخاري].

فاستخدم العلماء القياس والتعليل - مع أنها عبادة - وذلك في عدم الاكتفاء على ما ذكر في الحديث، وإنما تخرج مما يقتاته المسلمون، وغالب قوتهم - وهذا ما اختاره الشافعية والمالكية - واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وأما فرض النبي صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، فلأن هذا كان قوت أهل المدينة، ولو كان هذا ليس قوتهم بل يقتاتون غيره، لم يكلفهم أن يخرجوا مما لا يقتاتون، كما لم يأمر بذلك في الكفارات، فقد قال تعالى في الكفارات: «مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ» [المائدة: ٨٩].

وصدقة الفطر من جنس الكفارات، فكلاهما متعلق بالبدن، بخلاف صدقة المال، فإنها تجب بسبب المال، من جنس ما أعطاه الله. [انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٩/٢٥].

وفي زكاة الزروع والثمار اتفق العلماء على وجوب الزكاة في الأربعة أصناف المذكورة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، كما بحديث أبي بردة عن أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثهما إلى اليمن - يعلمان الناس أمر دينهم - فأمرهما ألا يأخذا الصدقة إلا من هذه الأربعة: الحنطة (القمح)، والشعير، والتمر، والزبيب. [رواه الحاكم في المستدرك وهو في السلسلة الصحيحة ٨٧٩].

ثم من العلماء من استخدم التعليل بمصلحة الفقراء، فالشافعي ذهب إلى أنها واجبة في كل ما يقتات ويدخر، وهو مذهب الإمام مالك أيضًا، وذهب الحنابلة إلى وجوبها في كل ما يكال ويدخر، أما أبو حنيفة فيرى الزكاة في كل ما أخرجته الأرض.

وأحكام الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلها معللة، جملة وتفصيلاً.

يقول الشاطبي: «وقد عُلم أن العبادات وُضعت لمصالح العباد في الدنيا أو في الآخرة على الجملة، وإن لم يعلم ذلك على التفصيل، ويصح القصد إلى مسبباتها الدنيوية والأخروية، على الجملة». [الموافقات ٣٢١/١].

وقال عن العبادات: «وكذلك سائر العبادات (بعد أن تكلم عن مقاصد الصلاة) فيها فوائد أخروية، وهي العامة، وفوائد دنيوية، وهي كلها تابعة للفائدة الأصلية، وهي الانقياد والخضوع لله». [الموافقات ١٤٤/٣].

ومن ذلك أيضًا أن الرخص الواردة في أحكام العبادات كلها معللة، معقولة المعنى: كالمشقة في قصر الصلاة للمسافر وللإفطار في رمضان والجمع بين الصلاتين، وما أشبه ذلك.

وقد ذهب ابن القيم بعيدًا في تعليل الأحكام،

بما في ذلك العبادات والأحكام التعبدية (الحكم التعبدي هو الذي لا تُدرك حكمته، ولو كان في مجال المعاملات). ورأى أنه لا يوجد في الشريعة تعبد محض (أي حكم لا تدرك حكمته).

فقد علل جعل التيمم بدلاً من الطهارة المائية، وعلل الاقتصار فيه على عضوين، وعلل كون الحجامة تفطر الصائم، وعلل كون المني يوجب الغسل، بينما البول لا يوجب إلا الوضوء، وعلل كون خروج الريح يوجب غسل أعضاء لا صلة لها بذلك، وعلل أحكامًا كثيرة من هذا القبيل، كما علل أضعافًا في أبواب المعاملات. [انظر: إعلام الموقعين ١/٣٠٠، فصل التيمم جار وفق القياس].

ويقول المقري: الأصل في الأحكام: المعقولية لا التعبد، لأنه أقرب إلى القبول، وأبعد عن الحرج. [قواعد الفقه القاعدة ٧٢].

وقال الجويني في باب تقاسيم العلل والأصول: والضرب الخامس من الأصول: ما لا يلوح فيه للمستنبط معنى أصلاً، ولا مقتضى من ضرورة أو حاجة أو استحثاث على مكرمة، وهذا يندر تصويره جدًا، فإنه إن امتنع استنباط معنى جزئي فلا يمتنع تخيله كليًا، ومثال هذا القسم العبادات البدنية المحضة. [البرهان في أصول الفقه ٢/٨٠].

ومعنى كلام الجويني: أن ما ليس له معنى ولا مقتضى في الأحكام يندر تصويره، فهو نادر.

وقد اختلفت أقوال الفقهاء في اعتبار بعض الأحكام تعبديًا أو معقول المعنى (معللاً)، فما يراه بعض الفقهاء تعبديًا قد يراه البعض الآخر معللاً بمصالح غلب على ظنه رعايتها، فمن ذلك أن صاحب الدُّر المختار قال: إن تكرار السجود أمر تعبدي، أي لم يعقل معناه، تحقيقًا للابتلاء.

وقال ابن عابدين: وقيل: إنه ثُنّي ترغيمًا للشيطان، حيث أُمر بالسجود مرة فلم يسجد، فنحن نسجد مرتين.

وكون طلاق الحائض بدعيًا، قيل: هو تعبدي، قال الدردير: والأصح أنه معلل بتطويل العدَّة، لأن أولها من الطهر بعد الحيض. [الموسوعة الفقهية ١٢/٢٠٨- ٢٠٩ بتصرف].

والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار يميل بها الفقهاء لغير معقول المعنى، كما قال بذلك الغزالي، غير أن بعض العلماء يعللونه وأمثاله، مما وضع من المناسك على هيئة أعمال بعض الصالحين، كالسعي بين الصفا والمروة الذي جُعل على حقيقة سعي أم إسماعيل - عليه السلام - بينهما. يقول ابن دقيق العيد: في ذلك من الحكمة تذكر الوقائع الماضية للسلف الكرام، وفي طيِّ تذكرها مصالح دينية؛ إذ يتبين في أثناء كثير منها ما كانوا عليه من امتثال أمر الله، والمبادرة إليه، وبذل الأنفس في ذلك، وبذلك يظهر لنا أن كثيرًا من الأعمال التي وقعت في الحج، ويقال فيها (أنها تعبدية) ليست كما قيل. ألا ترى أنا إذا فعلناها وتذكرنا أسبابها حصل لنا من ذلك تعظيم الأولين، وما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله، فكان هذا التذكر باعثًا لنا على مثل ذلك، ومقررًا في أنفسنا تعظيم الأولين، وذلك معنى معقول.

ثم ذكر أن السعي بين الصفا والمروة اقتداء بفعل هاجر، وأن رمي الجمار اقتداء بفعل إبراهيم، عليه السلام، إذ رمى إبليس بالجمار في هذا الموضع. [إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٢/٧١].

وابن القيم في «إعلام الموقعين» - سيرًا على خطى شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله- رأى أنه ليس في الشريعة تعبد محض، وردَّ كل ما قيل منه إنه مخالف للقياس.. وأطال في ذلك. [الموسوعة الفقهية ١٢/٢٠٩].

خامسًا: إن القول بتعليل كثير من الأحكام لا يتنافى مع التعبد فيها:

ومن هنا قالوا: إن جانب التعبد (حق الله) لا يخلو منه حكم من الأحكام الشرعية، سواء أكان تعبديًا أو معللاً، وسواء كان في العبادات أو في غيرها.

ففي العبادات تعليل بالمصلحة، وهو تدريب الناس على الانقياد للشرع، وعلى الخضوع لله، والانقياد بكليته في جميع حركاته وأقواله واعتقاداته لحكم الشرع.

وقد نص القرآن على تعليل الدين كله، والشريعة كلها، دون تفريق ولا استثناء، من ذلك قوله تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾» [الأنبياء: ١٠٧].

وظاهر الآية التعميم، ومراعاة مصالح العباد فيما شرع لهم من الأحكام؛ إذ لو أرسل بحكم لا مصلحة لهم فيه لكان إرسالا لغير الرحمة، التي نص الله عليها، أنها سبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي سبب التشريع.

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

مع الدعاة

من فقه إدارة الدعوة

التخطيط الدعوي

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، وبعد

فإن التعاونَ لنصرة دين الله، والاجتماعَ على الدعوة إلى الله واجبٌ شرعيٌّ، لا ينبغي أن يكون محلاً لخلاف، ولقد دلت على وجوب التعاون والاجتماع جملة من النصوص الشرعية العامة والخاصة كقوله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» [المائدة:٢]، وقوله تعالى: «وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ» [آل عمران:١٠٤]، وكذلك القواعد الفقهية والمقاصدية والأصولية كقاعدة: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، وقاعدة: «الجماعة رحمة والفُرقة عذاب»، وقاعدة: «تعين الواجب الكفائي على كل قادر إذا لم تتحقق كفاية».

وكما أن التعاون لنصرة دين الله حاجةٌ واقعيةٌ، فإنه مسألةٌ فطريَّةٌ اجتماعيَّةٌ، وتَشهَدُ لهذا وقائعُ السيرة النبوية، وعهود السلف الصالح قولاً وعملاً.

- وحقيقة التجمعات الدعوية المنضوية تحت راية السنة أنها وسيلةٌ لإقامة الواجبات الكفائية المضيَّعة في الأمة.

- ولا شك أن هذه التجمعات تتفاوت في طريقة إدارتها، وأسلوب توجيهها، ومسميات الوظائف فيها، إلا أنها -وعلى الجملة- لا تخرج عن قاعدة وقيادة، من خلال تناصُح وتشاوُر في حدود ما قامت لأجله هذه التجمعات، يكون هذا بين الشيخ والتلاميذ في التجمعات العلمية، كما يكون في مؤسسات الدعوة الحكومية الرسمية، وجماعاتها الأهلية والشعبية على حد سواء.

- وإنشاء هذه التجمعات الدعوية يُشترط له شروط، وتطلب فيه آداب، ومن ذلك:

أولا: ألاّ يُتحزَّبَ فيها على أصل بدعيٍّ، وألا تَكْثُرَ فيها البدعُ الجزئية كثرة تقوم مقامَ الأصل.

ثانيا: وألا يُعقد الولاءُ على أساس من هذا الانتماء، وألا يقع التعصب للطائفة الدعوية دون غيرها من طوائف دعاة أهل السنة والجماعة.

ثالثا: كما يتأكد تقديم مصلحة الأمة، والانتماء إليها على مصلحة الجماعة والطائفة والانتساب إليها؛ إذ الأول انتماء غاية، والثاني انتماء وسيلة!

- وهذه الطوائفُ الدعوية تتفاضلُ وتتفاوت -كما يتفاوت الأفراد- من حيث التزامها بمنهج وعقيدة أهل السنة، ومسلك وطريق سلف الأمة، وهيَ تتفاضلَ بحَسب شمولها وعمومها، وأثرها وعطائها، وانضباطها واستقامتها، واجتهاداتها وأنشطتها العملية.

- والأصل أن تتكامل هذه الجهود الجماعية، وأن تتطاوع هذه الفئات الدعوية؛ لتنتهي إلى إخراج أهل الحل والعقد في الأمة، والذين يُفوَّض إليهم عمومُ النظر في التحديات العامة، والمصالح الكلية للأمة الإسلامية.

- وإذا كان الأصل هو وحدة الأمة والعمل الإسلامي؛ فإن قبول التعددية إنما هو مسألةٌ مرحلية تَعْبُرُ من خلالها هذه الطوائف إلى صورة التيار الإسلامي العام، الذي يؤالف بين هذه المجموعات من غير اشتراط انحلال هذه التجمعات أو فك تلك الارتباطات، إنما الاتفاق على الأصول والقواعد الاعتقادية والعلمية، والتوحُّد في

القضايا العامة، والمواقف العملية المهمة، حتى يتكامل التمكين ويتحقق بإذن الله.

- ومن خلال هذا المفهوم يُنْظَرُ إلى التعدد في طوائف دعاة أهل السنة والجماعة على أنه تَعَدُّدُ تنوُّع لا تَنَازُع، وتَوَافُق لا تخالُف.

- وهو تعدد تَسُود فيه روحُ التعاذُر والتَّغافُر في مسائل الاجتهاد التي جرى فيها خِلاف، ومن خلال هذا الفهم يحصل التكامل والائتلاف.

- وهذه الأعمال الجماعية سواء أكانت علميةً أو تربويةً أو سياسيةً أو دَعَويةً -تَمَسُّ حاجتها للسياسة الشرعية السديدة، والإدارة الدعوية الرشيدة.

فلا غنى بالدعوات عن علم الإدارة المعاصر، وعلم السياسة الشرعية؛ لتكثير المصالح الدعوية، من انتظام الأعمال، والإفادة القصوى من الرجال، وترشيد الجهود، وتنسيق المواقف العملية، وإقامة الشورى الإيمانية، وضمان انتقال الخبرات، وتراكم التجارب، واستمرار العطاء، وتحصيل أسباب النجاح والتمكين، وتَوَقِّي المعاطب، واجتناب المفاسد.

- وكل دعوة راشدة تقوم على ركيزة عمل جماعي، وتتمتع بقبول وإقبال جماهيري- لا بد لها من تخطيط دعوي، وتدريب عملي، ثم يأتي العمل التنفيذي، ليأتي معه وبعده التقويم القياسي، والذي يعين على التطوير الذاتي.

وفيما يلي توضيح لهذه المعالم:

أولًا: التخطيط الدعوي:

التخطيط عملٌ يراد منه الوصول إلى ثمرة دعوية ناضجة، وتحقيق مصلحة شرعية راجحة، ولا يتأتى هذا إلا بدراسة دقيقة لواقع وبيئة الدعوة، بما يشمل الدعاة والمدعوين معًا، وتحديد الواجب في الواقع كَمًّا وكيفًا، مع العناية بالدراسات الإحصائية، والبحوث الميدانية؛ وذلك لتحديد أفضل الوسائل والأساليب الدعوية وأنجحها، وترتيب الأولويات العملية في ساحة الدعوة، ودراسة المحاذير والأخطار المحدقة بالدعوة؛ لاختيار طرائق النجاح، واجتناب المعوقات التي تُفضي إلى الفشل.

ومن ثَمَّ إعداد تلك الخطة التي تقوم على مراحل محددة؛ لتحقق أهدافًا معلومة الوسائل، واضحة البرامج، تنتهي إلى ألا تدعَ الدعوةَ نفسَها للسير على غير هدًى، أو أن تُدفعَ إلى ما لا تريد من الأعمال أو الأعباء، أو أن تتحول مسيرتُها إلى مجموعة من ردود الأفعال غير المحسوبة أو المدروسة.

- وإن الدعوةَ النبويةَ بسيرتِهَا ومسيرتِهَا لتؤكد على أهمية التخطيط الذي يقوم على الدراسة والإحصاء؛ فهذا يوسف عليه السلام يخطط لمواجهة السنين الشداد، ويضع الخطة الاقتصادية لمواجهة القحط والبلاء.

- وموسى عليه السلام يخطط لدعوته، فيطلب وزارة أخيه؛ ليشد أَزْرَهُ، وليشركه في أمره، ويسأل الله أن يشرح له صدره، وأن يُطلقَ لسانَهُ بالحجة، ولَـمَّا تقاول مع ملأ فرعون، وطُلب إلى المواجهة والمنازلة خطط لها وأَحْكَمَ أَمْرَهَا، بأن تكون في يوم اجتماعهم لحيهم؛ لتقوم الحجة على جميعهم، وأن يُحْشَرَ الناسُ في رائعة الضحى، فاختار الزمان في يومه وفي توقيته.

- ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم يخطط لدعوته، فيامر قائلًا: «احصوا لي كم يلفظ الإسلام» [مسلم (١٤٩)] ؛ ليحدد إمكاناته البشرية، ويدرس الواقع المعاصر في زمانه، فيختار الحبشة مَهْجَرًا لأصحابه، وينبه إلى أسباب الاختيار، فيقول: «فإن بها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق» [السيرة النبوية، لابن هشام (٢/١٦٤)].

ويتخذ في طريق هجرته من الأسباب العجبَ العُجَابَ، ويختار أصلحَ مَنْ بحضرته من الرسل للقيام بالدعوة؛ فيرسل مصعبًا إلى المدينة، ومعاذًا إلى اليمن، وحبيب بن زيد لمسيلمة الكذاب، ولما قيل له: إن الروم لا يقبلون كتابًا مع رسول إلا بخاتم، اتخذ خاتمًا نقشُهُ: «محمدٌ رسولُ الله»، وَوَجَدَ أن المنبر أعونُ على ظهوره ليراه الخلقُ، فاتخذه بعد النظر والمشورة.

وهكذا ما جاهد صلى الله عليه وسلم ولا غزا إلا أعدَّ خُطته، وهَيَّأَ عُدَّته، وأَحْكَمَ أَمْرَهُ قبل أن يمضي لوجهه. وفي قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» [الأنفال: ٦٠] ما يدل على أهمية الإعداد المسبق والتخطيط المحكم.

ولعل دعاتنا اليوم يستشعرون أهميةً بالغةً لحسن التخطيط والترتيب لأمور الدعوة والإصلاح، لاسيما والدعاة إلى الله - بطوائفهم المنضوية تحت راية السنة - ينتقلون إلى مرحلة الدولة بعد الدعوة، ويغادرون حالة الاستضعاف إلى حالة التمكين.

وهم يُطالَبون الآن بقيادة الدنيا وسياسة حياة الناس نحو ما يحقق لهم خيري الدنيا والآخرة على حد سواء، وهم يوضعون -بلا شك- على المحك العملي في قدرتهم على الانتقال من العلمي إلى العملي، ومن الشأن الخاص إلى الشأن العام، ومن التنظير إلى التنفيذ!

- ولعل كثيرًا ممن لم يهتموا ببناء هياكلهم الإدارية وقدراتهم التنفيذية يبادرون الآن باستشعار الأزمة، والتي يجب معها تغيير في الأولويات، وإعادة ترتيب للمهمات، وعلى رأسها: رصُّ الصفوف والقلوب والجهود، والتربية على فقه الخلاف، وبناءُ قاعدة التآخي، ورعاية حرمات العلماء، وتقديمُ الأكفاء، والتسامي عن المعارك الهامشية، والترفعُ عن الأنانية أو النعرة الحزبية العصبية، مع تمام العناية بشئون الدعوة الإدارية، وإحكام بنيتها التنفيذية! وللحديث بقية، بإذن الله.

نسأل الله أن يستعملنا في نصرة دينه، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، والحمد لله رب العالمين.

وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الشبهات المثارة حـ

إعداد / المستشار أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد..

فما يزال الحديث موصولاً عن الرد على الشبهات المثارة حول حكم الرجم.

وقد تحدثنا في العدد السابق على الرد على الشبهة الأولى والثانية، ونستكمل بحول الله تعالى في هذا العدد الرد على الشبهة الثالثة:

الرد على الشبهة الثالثة:-

اختلف العلماء في إثباتهم لهذه الآية على رأيين:

الأول: يرى إثباتها. ويرى أن قوله: (الشيخ والشيخة) عام أُريد به الخاص، وهو المحصن من الشيوخ، وإلى هذا أشار جماعة من السلف، قال الإمام مالك - رحمه الله - في الموطأ (ص٨٢٤): قوله: (الشيخ والشيخة) يعني الثيِّب والثيِّبة. اهـ.

ولهذا كان يورد بعض الصحابة والتابعين لفظة (الشيخ) في مقابل الشاب المحصن؛ مشيرين بذلك إلى مراد الآية، وهو المحصن من الشيوخ، قال أبو محمد بن حزم في «المحلى» (١١/٢٣٤): «عن أبي ذر قال: الشيخان يجلدان ويرجمان، والثيبان يرجمان، والبكران يجلدان وينفيان. وعن أبي بن كعب قال: يجلدون ويرجمون، يجلدون ولا يرجمون، وفسّره قتادة قال: الشيخ المحصن يُجلد ويُرجم إذا زنى، والشاب المحصن يُرجم إذا زنى، والشاب إذا لم يُحصن جُلد. وعن مسروق قال: البكران يُجلدان ويُنفيان، والثيبان يُرجمان ولا يجلدان، والشيخان يجلدان ويرجمان. اهـ.

أما الشاب المحصن، فالرجم ثابت في حقه إذا زنى؛ بدلالة نصوص أخرى غير الآية المنسوخة لفظاً الثابتة حكماً. كما في حديث عبادة بن الصامت الذي رواه مسلم في صحيحه (رقم ١٦٩). وفي حديث المرأة التي زنا بها العسيف، فرجمها النبي صلّى الله عليه وسلم؛ لأنها كانت محصنة، كما في صحيح البخاري (رقم ٦٨٢٧) ومسلم (رقم ١٦٩٧). وفي رجم ماعز بن مالك وهو شاب، كما في صحيح البخاري (رقم ٦٨١٥) وصحيح مسلم (رقم ١٣١٨)، وفي رجم الغامدية فهي شابة، وليست شيخة، بدليل أنها كانت حُبلى من الزنا، كما في صحيح مسلم (رقم ١٦٩٥)، والله أعلم.

الثاني: - يرى عدم ثبوتها. قال العلامة ابن العثيمين رحمه الله في فتاوى نور على الدرب: « القسم الثاني وهو ما نسخ لفظه وبقي حكمه فمثل هذه الآية، آية الرجم فإن حكمها باقٍ إلى يوم القيامة، وكانت مقروءة وموجودة لكنها نسخ لفظها، والحكمة في نسخ لفظها، والله أعلم، بيان فضل هذه الأمة على الأمة اليهودية التي كتمت أو حاولت أن تكتم ما كان موجوداً في كتابها وهي آية الرجم حينما جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتونه في قضية اليهوديين حينما زنا رجل بامرأة منهم، فجاءوا بالتوراة ووضع القارئ يده على آية الرجم، حتى قال عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فالأمة اليهودية كان رجم الزاني ثابتاً في التوراة لفظاً وحكماً، فحاولوا كتمه وعدم العمل به، هذه الأمة نُسخ لفظ التلاوة التي تثبت رجم الزاني، لكن الأمة الإسلامية طبقت هذا الحكم على الرغم من كون اللفظ منسوخاً، مما يدل على فضلها، وعلى امتثالها لأمر الله عز وجل، وعدم تحايلها على إبطال شريعته، هذا هو الذي يظهر لي من الحكمة في نسخ لفظها، وإن كان قد رُوي أن الحكمة هو أن الآية المشار إليها أي (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) لا تطابق الحكم الثابت الآن؛ لأن الحكم الثابت الآن معلق بالإحصان لا بالشيخوخة، والآية إن صحت (الشيخ والشيخة) تعلق الحكم بالشيخوخة لا بالإحصان، وبينهما فرق، فقد يكون الشيخ غير محصن، يعني لم يتزوج، ومع ذلك لا يرجم، ومقتضى الآية أن يُرجم لأنه شيخ، وقد يكون المحصن شاباً فيرجم، ومقتضى الآية إن صحت أنه لا يُرجم، ولذلك هذه الآية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) في القلب من صحتها شيء، وإن كانت قد وردت في السنن وفي المسند وفي ابن حبان، لكن في القلب منها شيء؛ لأن حديث عمر رضي الله عنه الذي أشار إلى آية الرجم، وقال: إن "الرجم حق ثابت في كتاب الله على من زنا إذا أحصن». فمقتضى هذا اللفظ الثابت في الصحيحين أن الآية المنسوخة قد علقت الحكم بالإحصان لا بالشيخوخة، ولهذا يجب التحرز من القول بأن الآية المنسوخة بهذا اللفظ أي بلفظ (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة)؛ لأن إثبات أن هذه هي الآية المنسوخة معناها إثبات أنها من كلام الله، وكلام الله سبحانه وتعالى حسب الحكم الشرعي الثابت الآن مقيد بالإحصان لا بالشيخوخة، وهو في الحديث الذي في الصحيحين عن عمر يدل أيضاً على أن الآية المنسوخة قد علقت الحكم بالإحصان لا

ـــــول أحاديث الرجم

الحلقة «٩»

بالشيخوخة، على كل حال في نفسي وفي قلبي شيء من صحة هذا اللفظ، أي لفظ الآية التي كانت منسوخة، وهي أن لفظها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)، فلا أستطيع أن أجزم بأن هذه هي الآية، أي أن هذا هو لفظها؛ لأنها كما أشرنا إليه لا تطابق الحكم الشرعي الثابت الآن، ولا تطابق أيضاً الحديث الثابت في الصحيحين أن الآية المنسوخة على من زنا إذا أحصن، ففي القلب من صحتها شيء.

وأما عن السورة التي ذُكرت فيها ففي صحيح ابن حبان أنها كانت في سورة الأحزاب، والله أعلم بذلك، هل هي في سورة الأحزاب أو في سورة النور، الله أعلم؛ لأن الحديث يجب النظر فيه، والخلاصة أن قوله: (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)، وإن كان مشهوراً ومعروفاً في السنن ومسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان فإن في نفسي من صحته شيئاً أولاً لأنه يخالف الحكم الشرعي الثابت إذ الحكم معلق بالإحصان لا بالشيخوخة، ثانياً لأن لفظ حديث عمر الثابت في الصحيحين ذكر أن الرجم على من زنا إذا أحصن، فمقتضى ذلك أن الآية المنسوخة تعلق الحكم بالإحصان لا بالشيخوخة، وهذا مما يدل على ضعف هذا الحديث المروي فيجب التثبت فيه." اهـ

فانظر أخي الحبيب كيف تعامل الشيخ -رحمه الله- بأدب مع الآية خشية أن تكون صحيحة، بينما ذلك المدلس يصمها بأنها آية شيطانية، حيث قال: «وقد وردت هذه الآية الشيطانية بعدة ألفاظ...»

الرد على الشبهة الرابعة:-

الشبهة الرابعة خير دليل على أن هذا المدلس من الرويبضة؛ إذ إنه يقول: إن الحديث يزعم أن عمر هو الذي يسن السنن، ويفرض الفرائض، ويترك الناس على السنة الواضحة، وهو ما يدل على جهله الفاضح باللغة العربية؛ حيث قال الزرقاني في شرحه على الموطأ (فقال: أيها الناس قد سُنت) بضم السين وفتح النون الثقيلة، وسكون الفوقية (لكم السنن) جمع سنة (وفرضت لكم الفرائض) بالبناء للمفعول فيهما للعلم بالفاعل (وتُركتم) بالبناء للمفعول أيضًا (على) الطريق (الواضحة) الظاهرة التي لا تخفى (إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالاً) عن تلك الطريق الواضحة لهوى أنفسكم (وضرب بإحدى يديه على الأخرى) أسفًا وتعجبًا ممن يقع منه ضلال بعد هذا البيان البالغ (ثم قال: إياكم) أحذركم (أن تهلكوا عن آية الرجم) أن بفتح الهمزة (يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله) إنما فيه حد واحد وهو الجلد)." اهـ.

الرد على الشبهة الخامسة:-

بأن عمر رضي الله عنه، وإن اعتبرها آية إلا أنه امتنع عن إضافتها ؛ لعلمه بنسخها لفظًا من القرآن مع بقاء تلاوتها، ومن ثَم فلا يجوز إضافة ما نُسخ لفظه إلى القرآن، وإلا لكان تزيدًا فيه، قال الشيخ الشنقيطي في مذكرة أصول الفقه: " إن نسخ التلاوة فقط معناه نسخ التعبد بلفظه والصلاة به، وكتبه مع القرآن في المصحف، وهذه أحكام من أحكامه، فلا مانع من نسخها مع بقاء حكم آخر لم ينسخ وهو ما دل عليه اللفظ، فآية الرجم مثلاً لا مانع من نسخ التعبد بها، والصلاة بها، وكتبها في المصحف مع بقاء حكم آخر من أحكامها لم ينسخ، وهو رجم الزانيين المحصنين..

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قولهم: هذا منسوخ تلاوة لا حكمًا؛ لأنه يفهم منه أن نسخ التلاوة مناف لنسخ الحكم؟

فالجواب: أن الحكم المنفي عنه النسخ في قولهم: لا حكمًا غير الحكم المثبت له النسخ بنسخ التلاوة؛ لأنها أحكام قد نسخ بعضها دون بعض... ولا مانع من أن يكون أصل المقصود من المنسوخ تلاوة لا حكمًا إنما هو الحكم دون التلاوة، (فهو كالمتعبد بمعناه لا بلفظه)، لكنه أنزل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلفظ معين ليثبت به الحكم وليستقر، والحال أنه هو المقصود فلا مانع من نسخ اللفظ؛ لأن المقصود هو مجرد الحكم، فإن قيل: فإن جاز نسخ التلاوة فلينسخ الحكم معها؛ لأن الحكم تبع للتلاوة فكيف يبقى الفرع مع نسخ الأصل؟

فالجواب: أن التلاوة حكم، وانعقاد الصلاة بها حكم آخر، ودلالتها على ما دلت عليه حكم آخر، فلا يلزم من نسخ التعبد بها وعدم الصلاة بها: نسخ حكمها الذي دلت عليه، فكم من دليل لا يتلى ولا تنعقد به صلاة، والآية المنسوخة تلاوتها مع بقاء حكمها دليل لنزولها وورودها، لا لكونها متلوة في القرآن. والنسخ لا يرفع ورودها ونزولها، ولا يجعلها كأنها غير واردة بل يلحقها بالوارد الذي لا يتلى". اهـ

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

باب الاقتصاد الإسلامي

من قرارات مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة

التأمين بشتى صوره وأشكاله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.. أما بعدُ:

فإن مجمع الفقه الإسلامي في دورته الأولى المنعقدة في ١٠ شعبان ١٣٩٨هـ، بمكة المكرمة، بمقر رابطة العالم الإسلام، نظر في موضوع التأمين بأنواعه المختلفة، بعدما اطلع على كثير مما كتبه العلماء في ذلك، وبعد ما اطلع أيضا على ما قرره مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في دورته العاشرة المنعقدة بمدينة الرياض بتاريخ ١٣٩٧/٤/٤هـ من التحريم للتأمين بأنواعه.

وبعد الدراسة الوافية وتداول الرأي في ذلك قرر المجلس بالأكثرية تحريم التأمين بجميع أنواعه سواء كان على النفس أو البضائع التجارية، أو غير ذلك من الأموال.

كما قرر مجلس المجمع بالإجماع الموافقة على قرار مجلس هيئة كبار العلماء من جواز التأمين التعاوني بدلاً من التأمين التجاري المحرم والمنوَّه عنه آنفًا، وعهد بصياغة القرار إلى لجنة خاصة.

تقرير اللجنة المكلفة

بإعداد قرار مجلس المجمع حول التأمين

بناءً على قرار مجلس المجمع المتخذ بجلسة الأربعاء ١٤ شعبان ١٣٩٨هـ المتضمن تكليف كل من أصحاب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد محمود الصواف، والشيخ محمد بن عبد الله السبيل بصياغة قرار مجلس المجمع حول التأمين بشتى أنواعه وأشكاله.

وعليه فقد حضرت اللجنة المشار إليها وبعد المداولة أقرت ما يلي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وأصحابه ومن اهتدى بهداه... أما بعد:

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

فإن مجمع الفقه الإسلامي في دورته الأولى المنعقدة في ١٠ شعبان ١٣٩٨هـ بمكة المكرمة بمقر رابطة العالم الإسلامي نظر في موضوع التأمين بأنواعه المختلفة بعد ما اطلع على كثير مما كتبه العلماء في ذلك وبعد ما اطلع أيضا على ما قرره مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في دورته العاشرة المنعقدة بمدينة الرياض بتاريخ ١٣٩٧/٤/٤هـ بقراره رقم (٥٥) من التحريم للتأمين التجاري بأنواعه.

وبعد الدراسة الوافية وتداول الرأي في ذلك قرر مجلس المجمع الفقهي بالإجماع -عدا فضيلة الشيخ مصطفى الزرقا- ما يلي:

تحريم التأمين التجاري بجميع أنواعه سواء أكان على النفس أو البضائع التجارية أو غير ذلك للأدلة الآتية:

الأول: عقد التأمين التجاري من عقود المعاوضات المالية الاحتمالية المشتملة على الغرر الفاحش؛ لأن المستأمن لا يستطيع أن يعرف وقتَ العقد مقدارَ ما يعطي أو يأخذ؛ فقد يدفع قسطًا أو قسطين، ثم تقع الكارثة فيستحق ما التزم به المؤمِّن، وقد لا تقع الكارثة أصلاً فيدفع جميع الأقساط ولا يأخذ شيئًا، وكذلك المؤمِّن لا يستطيع أن يحدد ما يعطي ويأخذ بالنسبة لكل عقد بمفرده، وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن بيع الغرر. [أبو داود وصححه الألباني].

الثاني: عقد التأمين التجاري ضرب من ضروب المقامرة؛ لما فيه من المخاطرة من

معاوضات مالية، ومن الغرم بلا جناية أو تسبب فيها، ومن الغنم بلا مقابل أو مقابل غير مكافئ، فإن المستأمن قد يدفع قسطًا من التأمين، ثم يقع الحادث فيغرم المؤمِّن كل مبلغ التأمين، وقد لا يقع الخطر ومع ذلك يغنم المؤمِّن أقساط التأمين بلا مقابل، وإذا استحكمت فيه الجهالة كان قمارًا ودخل في عموم النهي عن الميسر في قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة: ٩٠]. والآية بعدها.

الثالث: عقد التأمين التجاري يشتمل على ربا الفضل والنسيئة؛ فإن الشركة إذا دفعت للمستأمن أو لورثته أو للمستفيد أكثر مما دفعه من النقود لها فهو ربا فضل، والمؤمِّن يدفع ذلك للمستأمن بعد مدة فيكون ربا نَساء، وإذا دفعت الشركة للمستأمن مثل ما دفع لها يكون ربا نَساء فقط، وكلاهما محرم بالنص والإجماع.

الرابع: عقد التأمين التجاري من الرهان المحرم، لأن كلاً منهما فيه جهالة وغرر ومقامرة، ولم يبح الشرع من الرهان إلا ما فيه نصرة للإسلام وظهور لإعلائه بالحجة والسنان، وقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم الرهان بعوض في ثلاثة بقوله: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل» [أبو داود وصححه الألباني]. وليس التأمين من ذلك ولا شبيهًا به، فكان محرمًا.

الخامس: عقد التأمين التجاري فيه أخذ مال الغير بلا مقابل، والأخذ بلا مقابل في عقود المعاوضات التجارية محرم؛ لدخوله في عموم النهي في قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ» [النساء: ٢٩].

السادس: في عقد التأمين التجاري الإلزام بما لا يلزم شرعًا، فإن المؤمن لم يحدث الخطر منه ولم يتسبب في حدوثه، وإنما كان مجرد التعاقد مع المستأمن على ضمان الخطر على تقدير وقوعه مقابل مبلغ يدفعه المستأمن له، والمؤمن لم يبذل عملاً للمستأمن فكان حرامًا.

وأما ما استدل به المبيحون للتأمين التجاري مطلقًا أو في بعض أنواعه فالجواب عنه ما يلي:

أ- الاستدلال بالاستصلاح غير صحيح؛ فإن المصالح في الشريعة الإسلامية ثلاثة أقسام: قسم شهد الشرع باعتباره فهو حجة، وقسم سكت عنه الشرع فلم يشهد له بإلغاء ولا اعتبار فهو مصلحة مرسلة، وهذا محل اجتهاد المجتهدين، والقسم الثالث ما شهد الشرع بإلغائه، وعقود التأمين التجاري فيها جهالة وغرر وقمار وربا؛ فكانت مما شهدت الشريعة بإلغائه لغلبة جانب المفسدة فيه على جانب المصلحة.

ب- الإباحة الأولية لا تصلح دليلاً هنا؛ لأن عقود التأمين التجاري قامت الأدلة على مناقضتها لأدلة الكتاب والسنة، والعمل بالإباحة الأصلية مشروط بعدم الناقل عنها وقد وُجد، فبطل الاستدلال بها.

جـ- الضرورات تبيح المحظورات لا يصح الاستدلال به هنا، فإن ما أباحه الله من طرق كسب الطيبات أكثر أضعافًا مضاعفة مما حرمه عليهم، فليس هناك ضرورة معتبرة شرعًا تلجئ إلى ما حرمته الشريعة من التأمين.

د- لا يصح الاستدلال بالعرف؛ فإن العرف ليس من أدلة تشريع الأحكام، وإنما يبنى عليه في تطبيق الأحكام، وفهم المراد من ألفاظ النصوص، ومن عبارات الناس في أيمانهم وتداعيهم وأخبارهم، وسائر ما يحتاج إلى تحديد المقصود منه، من الأفعال والأقوال، فلا تأثير له فيما تبين أمره وتعين المقصود منه، وقد دلت الأدلة واضحة على منع التأمين؛ فلا اعتبار به معها.

هـ- الاستدلال بأن عقود التأمين التجاري من عقود المضاربة أو في معناها غير صحيح؛ فإن رأس المال في المضاربة لم يخرج عن ملك صاحبه، وما يدفعه المستأمن يخرج بعقد التأمين من ملكه إلى ملك الشركة حسبما يقضي به نظام التأمين، وإن رأس مال المضاربة يستحقه ورثة مالكه عند موته، وفي التأمين قد يستحق مبلغ التأمين ولو لم يدفع مورثهم إلا قسطًا واحدًا، وقد لا يستحقون شيئًا إذا جعل المستفيد سوى المستأمن وورثته، وإن الربح في المضاربة يكون بين الشريكين نسبًا مئوية مثلاً بخلاف التأمين فإن ربح رأس المال وخسارته للشركة وليس للمستأمن إلا مبلغ التأمين أو

مبلغ غير محدد.

و- قياس عقود التأمين على ولاء الموالاة عند من يقول به غير صحيح؛ فإنه قياس مع الفارق، ومن الفروق بينهم أن عقود التأمين هدفها الربح المادي المشوب بالغرر والقمار وفاحش الجهالة، بخلاف عقد ولاء الموالاة، فالقصد الأول فيه التآخي في الإسلام والتناصر والتعاون في الشدة والرخاء وسائر الأحوال، وما يكون من كسب مادي فالقصد إليه بالتبع.

ز- قياس عقد التأمين التجاري على الوعد الملزم عند من يقول به لا يصح؛ لأنه قياس مع الفارق، ومن الفروق أن الوعد بقرض أو إعارة أو تحمل خسارة مثلاً من باب المعروف المحض، فكان الوفاء به واجبًا أو من مكارم الأخلاق؛ بخلاف عقود التأمين فإنها معاوضة تجارية باعثها الربح المادي، فلا يغتفر فيها إلى ما يغتفر في التبرعات من الجهالة والغرر.

ح- قياس عقود التأمين التجاري على ضمان المجهول وضمان ما لم يجب قياس غير صحيح؛ لأنه قياس مع الفارق أيضًا، ومن الفروق أن الضمان نوع من التبرع يقصد به الإحسان المحض، بخلاف التأمين التجاري فإنه عقد معاوضة تجارية يقصد منها أولاً الكسب المادي، فإن ترتب عليه معروف فهو تابع غير مقصود إليه، والأحكام يراعى فيها الأصل لا التابع ما دام تابعًا غير مقصود إليه.

ط- قياس عقود التأمين التجاري على ضمان خطر الطريق لا يصح، فإنه قياس مع الفارق كما سبق في الدليل قبله.

ي- قياس عقود التأمين التجاري على نظام التقاعد غير صحيح، فإنه قياس مع الفارق أيضًا؛ لأن ما يُعطى للمتقاعد حق التزم به ولي الأمر باعتباره مسئولاً عن رعيته، وراعى في صرفه ما قام به الموظف، ونظر إلى مظنة الحاجة فيهم، فليس نظام التقاعد من باب المعاوضات المالية بين الدولة وموظفيها، وعلى هذا لا شبه بينه وبين التأمين الذي هو من عقود المعاوضات المالية التجارية التي يقصد بها استغلال الشركات للمستأمنين والكسب من ورائهم بطرق غير مشروعة، لأن ما يعطى في حالة التقاعد يعتبر حقًا التُزم به من حكومات مسئولة عن رعيتها وتصرفها لمن قام بخدمة الأمة، مكافأة لمعروفه وتعاونًا معه جزاء تعاونه ببدنه وفكره وقطع الكثير من فراغه في سبيل النهوض معها بالأمة.

ك- قياس نظام التأمين التجاري وعقوده على نظام العاقلة لا يصح فإنه قياس مع الفارق، ومن الفروق أن الأصل في تحمل العاقلة لدية الخطأ وشبه العمد لما بينهما من الرحم والقرابة التي تدعو إلى النصرة والتواصل والتعاون وإسداء المعروف ولو دون مقابل، وعقود التأمين تجارية استغلالية تقوم على معاوضات مالية محضة لا تمُت إلى عاطفة الإحساس وبواعث المعروف بصلة.

ل- قياس عقود التأمين التجاري على عقود الحراسة غير صحيح؛ لأنه قياس مع الفارق أيضًا، ومن الفروق أن الأمان ليس محلاً للعقد في المسألتين، وإنما محله في التأمين الأقساط ومبلغ التأمين، وفي الحراسة الأجرة وعمل الحارس، أما الأمان فغاية ونتيجة، وإلا لما استحق الحارس الأجرة عند ضياع المحروس.

م- قياس التأمين على الإيداع لا يصح؛ لأنه قياس مع الفارق أيضًا، فإن الأجرة في الإيداع عوض عن قيام الأمين بحفظ شيء في حوزته يحوطه بخلاف التأمين، فإن ما يدفعه المستأمن لا يقابله عمل من المؤمن، ويعود إلى المستأمن بنفعه إنما هو ضمان الأمن والطمأنينة، وشرط العوض عن الضمان لا يصح بل هو مفسد للعقد، وإن جعل مبلغ التأمين في مقابلة الأقساط كان معاوضة تجارية جهل فيها مبلغ التأمين أو زمنه فاختلف عن عقد الإيداع بأجر.

ن- قياس التأمين على ما عُرف بقضية تجار البزّ مع الحاكة لا يصح والفرق بينهما أن المقيس عليه من التأمين التعاوني - وهو تعاون محض - والمقيس تأمين تجاري، وهو معاوضات تجارية، فلا يصح القياس.

كما قرر مجلس المجمع بالإجماع الموافقة على قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية رقم (٥١) وتاريخ ١٣٩٧/٤/٤هـ من جواز التأمين التعاوني بدلاً من التأمين التجاري المحرم والمنوه عنه آنفًا للأدلة الآتية:

الأول: أن التأمين التعاوني من عقود التبرع التي يقصد بها أصالة التعاون على

تفتيت الأخطار، والاشتراك في تحمل المسئولية عند نزول الكوارث، وذلك عن طريق إسهام أشخاص بمبالغ نقدية تخصص لتعويض من يصيبه الضرر، فجماعة التأمين التعاوني لا يستهدفون تجارة ولا ربحًا من أموال غيرهم، وإنما يقصدون توزيع الأخطار بينهم والتعاون على تحمل الضرر.

الثاني: خلو التأمين التعاوني من الربا بنوعيه: ربا الفضل وربا النَّساء، فليست عقود المساهمين ربوية، ولا يستغلون ما جمع من الأقساط في معاملات ربوية.

الثالث: أنه لا يضر جهل المساهمين في التأمين التعاوني بتحديد ما يعود عليهم من النفع؛ لأنهم متبرعون، فلا مخاطرة ولا غرر ولا مقامرة، بخلاف التأمين التجاري فإنه عقد معاوضة مالية تجارية.

الرابع: قيام جماعة من المساهمين أو من يمثلهم باستثمار ما جُمع من الأقساط لتحقيق الغرض الذي من أجله أنشئ هذا التعاون، سواء كان القيام بذلك تبرعًا أو مقابل أجر معين.

رأى المجلس أن يكون التأمين التعاوني على شكل شركة تأمين تعاونية مختلطة للأمور الآتية:

أولاً: الالتزام بالفكر الاقتصادي الإسلامي الذي يترك للأفراد مسئولية القيام بمختلف المشروعات الاقتصادية، ولا يأتي دور الدولة إلا كعنصر مكمل لما عجز الأفراد عن القيام به، وكدور موجه ورقيب لضمان نجاح هذه المشروعات وسلامة عملياتها.

ثانيًا: الالتزام بالفكر التعاوني التأميني الذي بمقتضاه يستقل المتعاونون بالمشروع كله، من حيث تشغيله، ومن حيث الجهاز التنفيذي ومسئولية إدارة المشروع.

ثالثًا: تدريب الأهالي على مباشرة التأمين التعاوني، وإيجاد المبادرات الفردية والاستفادة من البواعث الشخصية، فلا شك أن مشاركة الأهالي في الإدارة تجعلهم أكثر حرصًا ويقظة على تجنب وقوع المخاطر التي يدفعون مجتمعين تكلفة تعويضها؛ مما يحقق مصلحة لهم في إنجاح التأمين التعاوني؛ إذ إن تجنب المخاطر يعود عليهم بأقساط أقل في المستقبل، كما أن وقوعها قد يحمّلهم أقساطًا أكبر في المستقبل.

رابعًا: إن صورة الشركة المختلطة لا يجعل التأمين كما لو كان هبة أو منحة من الدولة للمستفيدين منه، بل بمشاركة منها معهم فقط لحمايتهم ومساندتهم باعتبارهم هم أصحاب المصلحة الفعلية، وهذا موقف أكثر إيجابية ليشعر معه المتعاونون بدور الدولة ولا يعفيهم في نفس الوقت من المسئولية.

ويرى المجلس أن يراعى في وضع المواد التفصيلية للعمل بالتأمين التعاوني على الأسس الآتية:

الأول: أن يكون لمنظمة التأمين التعاوني مركز له فروع في كافة المدن، وأن يكون بالمنظمة أقسام تتوزع بحسب الأخطار المراد تغطيتها، وبحسب مختلف فئات ومهن المتعاونين؛ كأن يكون هناك قسم للتأمين الصحي وثان للتأمين ضد العجز والشيخوخة.. إلخ. أو يكون هناك قسم لتأمين الباعة المتجولين، وآخر للتجار، وثالث للطلبة، ورابع لأصحاب المهن الحرة كالمهندسين والأطباء والمحامين... إلخ.

الثاني: أن تكون منظمة التأمين التعاوني على درجة كبيرة من المرونة والبعد عن الأساليب المعقدة.

الثالث: أن يكون للمنظمة مجلس أعلى يقرر خطط العمل، ويقترح ما يلزمها من لوائح وقرارات تكون نافذة؛ إذ اتفقت مع قواعد الشريعة.

الرابع: يمثل الحكومة في هذا المجلس من تختاره من الأعضاء، ويمثل المساهمين من يختارونه ليكونوا أعضاء في المجلس، ليساعد ذلك على إشراف الحكومة عليها، واطمئنانها على سلامة سيرها، وحفظها من التلاعب والفشل.

الخامس: إذا تجاوزت المخاطر موارد الصندوق بما قد يستلزم زيادة الأقساط فتقوم الدولة والمشتركون بتحمل هذه الزيادة.

ويؤيد مجلس المجمع الفقهي ما اقترحته هيئة كبار العلماء في قرارها المذكور بأن يتولى وضع المواد التفصيلية لهذه الشركة التعاونية جماعة من الخبراء المختصين في هذا الشأن.

والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

عظماء القادة

إعداد/
جمال عبدالرحمن



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد:

فإن أمر الإمامة في الإسلام من أعظم الأمور، والأمانات التي أشفقت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلومًا جهولاً.

وقد علم السلف الصالح رضوان الله عليهم خطورة هذا الأمر وجسامته، فكانوا يفرون منها فرارهم من الأسد، ومن كان منهم يُكلف بها ويُختار لها، كان يتحول من الغنى إلى الفقر، ومن السعة إلى الزهد، خشية أن يسأله الله تعالى عن طعمة طعمها، لا يجدها ضعفاء المسلمين، فضربوا أروع الأمثلة، أولاً: في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في سنته وطريقته حذو القذة بالقذة، وثانيًا: في عفافه وزهده، وخوفه من الله عز وجل. ثالثًا: في إعلاء راية الإسلام والذود عنها جهادًا في سبيل الله تعالى، رابعًا: في التطبيق الدقيق وبإصرار لما أوصى وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم، خامسًا: في الزهد في الإمامة والعزوف عنها خشية من لقاء الله وسؤاله.

ومن هذه الأمثلة العظيمة:
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وامتثاله أمر النبي ﷺ

استعمل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أسامةَ بن زيدٍ على جيش، وأمره بالتَّوجّه إلى الشَّام، فلمَّا خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا - أرسل أسامة عمر بن الخطاب، وكان معه في جيشه، إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع النَّاس، وقال: إنَّ معي وجوهَ النَّاس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطَّفهم المشركون. وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب: إنَّ أبا بكر خليفة رسول الله، فإن أبى إلاَّ أن نمضي فأبلغهُ عنَّا، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سنًا من أسامة.[الكامل في التاريخ ٢/١٩٥].

وفي رواية عن عائشة قالت، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة واشرأبَّ النفاق، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الرَّاسيات لهاضها، وصار أصحاب محمَّد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى مطيَّرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، فو الله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطلها وعنانها وفصلها، ثمَّ ذكرت عمر فقالت: من رأى عمر علم أنه خُلق غنى للإسلام، كان والله أحوذيا نسيجًا

وحده قد أعدَّ للأمور أقرانها.

قال الحافظ أبو بكر البيهقيّ:... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثمَّ قال الثانية، ثمَّ قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة؟ فقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلمَّا نزل بذي خشب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتدَّت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله فقالوا: يا أبا بكر ردَّ هؤلاء، توجَّه هؤلاء إلى الرّوم وقد ارتدَّت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره لو جرَّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشاً وجَّهه رسول الله، ولا حللت لواء عقده رسول الله.

فوجَّه أسامة، فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلاَّ قالوا: لولا أنَّ لهؤلاء قوَّة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتَّى يلقوا الرّوم، فلقوا الرّوم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام. [البداية والنهاية ٦/ ٣٣٦]

عمر يمتثل وصية الصدّيق على فراش موته

ولم تكتمل خلافة الصديق ثلاثة أعوام، حتى لقي ربه جل وعلا، وقد استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المسلمين، لكنه أوصاه بمواصلة المسيرة على مثل ما كان عليه الصديق من الإصرار على رفع راية الإسلام عالية خفاقة.

قال الصِّدِّيق لعمر: اسمع يا عمر ما أقول لك، ثمَّ اعمل به، إنِّي لأرجو أن أموت من يومي هذا- وذلك يوم الاثنين- فإن أنا متّ فلا تمسينّ حتّى تندب الناس مع المثنّى بن حارثة لحرب الفرس في العراق، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحنّ حتّى تندب الناس مع المثنّى، ولا تشغلنَّكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم، ووصيَّة ربِّكم، وقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله، وبالله لو أني أتوانى عن أمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا. [تاريخ الطبري].

فكان أوَّل منتدب أبو عبيد بن مسعود، فلمَّا اجتمع ذلك البعث، قيل لعمر: أمِّر عليهم رجلًا من السَّابقين من المهاجرين والأنصار قال: لا والله لا أفعل، إنَّ الله إنَّما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدوّ، فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء، فأولى بالرئاسة منكم من سبق إلى الدَّفع، وأجاب إلى الدّعاء! والله لا أؤمِّر عليهم إلا أوَّلهم انتدابًا.

ولم يكن عمر رضي الله عنه ليولي رجلاً لا خبرة له بالحرب ولا كفاءة لمجرد إسراعه وشجاعته، بل ساوى الكثير من المهاجرين والأنصار في ذلك وفاضلهم في السرعة، ومع ذلك أمره أن يستشيرهم ويستفيد منهم، فقال لأبي عبيد: اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا حتّى تتبيَّن، فإنَّها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرَّجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف. قال رجل من الأنصار: قال عمر رضي الله عنه لأبي عبيد: إنه لم يمنعني أن أؤمِّر سليطًا إلا سرعته إلى الحرب، وفي التَّسرُّع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان، والله لولا سرعته لأمَّرته، ولكنَّ الحرب لا يصلحها إلا المكيث. [تاريخ الطبري]

وقد تحققت في أبي عبيد نظرة عمر وفراسته وقدرته الحربية في منازلة أعداء الله، ففي معركة النمارق التي كان قائد جيش الفرس «جابان»، خرج أبو عبيد بعد ما جمَّ النَّاس، وتعبَّى (تعبئة الجيش)، فجعل المثنَّى على الخيل، وعلى ميمنته والق بن جيدارة، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصَّلت بن حبيب السّلميّ فنزلوا على جابان بالنَّمارق، فاقتتلوا قتالاً شديدًا فهزم الله أهل فارس، وأسر جابان، أسره مطر بن فضة التيمي، وأمَّا مطر بن فضة فإنَّ جابان خدعه، حتَّى تفلت منه بشيء فخلَّى عنه، فأخذه المسلمون، فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه الملك، وأشاروا عليه بقتله، فقال: إنِّي أخاف الله أن أقتله، وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون في التَّوادِّ والتَّناصر كالجسد، ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلّهم. [تاريخ الطبري].

ومن المواقف العظيمة لهذا القائد أبي عبيد أنَّ بعض ولاة الفرس جاؤوا إلى أبي عبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس الفاخرة الشهية من الألوان والأخبصة وغيرها، فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها، وقِرًى لك قال: أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟ قالوا: لم يتيسَّر ونحن فاعلون، فقال أبو عبيد: فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند، فردَّه. [تاريخ الطبريّ]

وفاة عمر رضي الله عنه :

وبعد حياة مليئة بالعدل والرحمة والدعوة والفتوحات، لقي ذلك العملاق الفاروق ربه سبحانه وتعالى، فمات مقتولاً شهيدًا، رضي الله عنه. وأتوه على فراش موته فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين استخلف ، قال : ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فسمى علياً وعثمان وطلحة وسعداً وعبد الرحمن وقال : يشهدكم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

فلمَّا قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلَّم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطَّاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلمَّا

فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرَّهط، فقال عبد الرَّحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزّبير: قد جعلت أمري إلى عليٍّ، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعدٌ: قد جعلت أمري إلى عبد الرَّحمن بن عوف، فقال عبد الرَّحمن: أيّكما تبرَّأ من هذا الأمر، فنجعلَه إليه والله عليه والإسلام، لينظرنَّ أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرَّحمن: أفتجعلون الأمر إليَّ، والله عليَّ أن لا آل عن أفضلكم (يعني: لا أقصِّر في اختيار أفضلكم للخلافة) قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلنَّ، ولئن أمَّرت عثمان لتسمعنَّ، ولتطيعنَّ، ثمَّ خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلمَّا أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له عليٌّ، وولج أهل الدَّار فبايعوه«. [صحيح البخاري]

وفي رواية قال لهم عمر رضي الله عنه: فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكِّموا عبد الله بن عمر، فأيّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرَّحمن بن عوف. [تاريخ المدينة لابن شبة]

مقتل عثمان رضي الله عنه وتهرب الناس من الخلافة بعده

وبمقتل عثمان ظهرت عجائب في فرار الوجهاء من تقلد منصب الخلافة.

قال الأوزاعيّ: حدثني محمد بن عبد الملك بن مروان، أنَّ المغيرة بن شعبة، دخل على عثمان وهو محصور فقال: إنَّك إمام العامَّة، وقد نزل بك ما نرى، وإنّي أعرض عليك خصالاً: إمَّا أن تخرج تقاتلهم، فإنَّ معك عددًا وقوَّة. وإمَّا أن تخرق لك بابًا سوى الباب الَّذي هم عليه، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنَّهم لن يستحلّوك وأنت بها، وإمَّا أن تلحق بالشام، فإنَّهم أهل الشام، وفيهم معاوية. فقال: إنّي لن أفارق دار هجرتي، ولن أكون أوَّل من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمَّته بسفك الدِّماء.

وقال نافع، عن ابن عمر: أصبح عثمان يحدّث النَّاس، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اللَّيلة في المنام، فقال: «أفطر عندنا غدًا» فأصبح صائمًا، وقُتل من يومه. [ابن سعد في طبقاته]

وقال محمد بن سيرين: انطلق الحسن والحسين وابن عمر، ومروان، وابن الزبير، كلهم شاك السلاح، حتى دخلوا على عثمان، فقال: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم، فقال ابن الزبير، ومروان: نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح، وخرج الآخرون، وكان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة، لو يدعهم لضربوهم حتَّى يخرجوهم من أقطارها. [تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ١٢٩]

قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام، وأميرها الغافقيّ بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، يأتي المصريّون عليًا فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيّون الزّبير فلا يجدونه، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً، فباعدهم وتبرأ من مقالتهم، ويطلب البصريّون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم مرة بعد مرة،.... فبعثوا إلى سعد بن أبي وقّاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع، فاقدم نبايعك، فبعث إليهم: إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال، وتمثل:

لا تخلطن خبيثات بطيبة
واخلع ثيابك منها وانج عريانا

ثمَّ إنَّهم أتوا ابن عمر عبد الله، فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقاما والله لا أتعرض له، فالتمسوا غيري، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم. [تاريخ الطبري]

عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالا: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه، جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعدا والزبير خارجين، ووجدوا طلحة في حائط له، ووجدوا بني أميَّة قد هربوا إلا من لم يطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج، وتبعهم مروان، وتتابع على ذلك من تتابع. [تاريخ الطبري]

- وعن الشَّعبيِّ، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه أتى النَّاس عليًا وهو في سوق المدينة، وقالوا له: ابسط يدك نبايعك، [قال: لا تعجلوا فإنَّ عمر كان رجلا مباركًا، وقد أوصى بها شورى، فامهلوا يجتمع النَّاس ويتشاورون] فارتدَّ النَّاس عن عليٍّ، ثمَّ قال بعضهم: إن رجع النَّاس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائمٌ بهذا الأمر لم نأمن اختلاف النَّاس وفساد الأمَّة، فعادوا إلى عليٍّ، فأخذ الأشتر بيده فقبضها عليٌّ، فقال: أبعد ثلاثة! أما والله لئن تركتها لتعصرنَّ عينك عليها حينًا، فبايعته العامَّة وأهل الكوفة، يقولون: إنَّ أوَّل من بايعه الأشتر. [تاريخ الطبري]

نسأل الله أن يولي من يصلح ويحكم بالعدل، ويقيم حدود الله وشرعه، آمين والحمد لله رب العالمين

خير أمة

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار، والصلاة والسلام على النبي المختار وآله الأطهار وصحبه الأبرار ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد:



يقول الله تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» [آل عمران: ١١٠].

هذه هي إرادة الله الكونية أو القدرية والشرعية، فقد قدَّر الله سبحانه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة أن خير أمة سوف تُخلق وتُخرج للناس هي أمة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، وشرع ذلك لها، وسبب لها الأسباب، وأمرها أن تأخذ بالأسباب وتحقق الشرط، فقد قال عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس في حجة حجها بعدما قرأ الآية: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها. [ابن كثير: ١/٥٤٤].

ولهذه الخيرية أسباب جعلت هذه الأمة خير أمة في الدنيا والآخرة، وتفصيل ذلك ما يلي:

هي أخير أمة في الدنيا للأسباب التالية:

أولا: لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

كما في الآية الكريمة: «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ» [آل عمران: ١١٠]، ولأن الأمم السابقة التي أوتيت الكتاب تقاعست عن هذه المهمة العظيمة «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [المائدة: ٧٨-٧٩]، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم التخلي عن هذا السبب العظيم من أسباب الخيرية سبيلاً من سبل ضياع هيبة الأمة وفقدان خيريتها.

عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم فقد تُوُدِّعَ منها». [رواه الحاكم ٧٠٣٦ وصححه ووافقه الذهبي]. وتُوُدِّع منهم أي أصبحت لا خيرية فيها ولا فائدة منها.

ومن تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه في بيان هذه الآية قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. [البخاري: ٤٥٥٧].

ثانيا: لأنها تؤمن بالله:

إيمانًا يليق به سبحانه، وتوحده على الوجه الذي أمر به سبحانه وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس كإيمان اليهود الذين قالوا: «يَدُ

ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ» [المائدة: ٦٤]، أو قولهم: «إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا» [آل عمران: ١٨١]، وليس كإيمان النصارى الذين قالوا: «إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ» [المائدة: ٧٣]، أو قولهم: «إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ» [المائدة: ١٧]، وهذه الأمة تؤمن بالصفات الثابتة لله تعالى دون تعطيل أو تحريف أو تأويل أو تشبيه، وتثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه، وتنفي عنه سبحانه ما نفاه عن نفسه من النسيان والظلم.

ثالثا: لأن دينها محفوظ ومجدد:

قال الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ» [الحجر: ٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». [رواه أبو داود ٤٢٩١ وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٨٧٤]، أي أن الله يهيئ العلماء والولاة الذين يقومون بإظهار الحق ونشره وبيانه، ودحض الباطل والقضاء عليه، والمقصود بذلك تجديد ما اندرس من الدين، وإلا فإن الدين واف كامل، والمجددون موجودون وهم على علم بالكتاب والسنة وليس عندهم مطاعن في العقيدة ولا مخالفة في السنة، وليس كل من يدعي أنه من المجددين يُسلَّم له، وبعضهم لا شك أنه مسلم به مثل عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، والشافعي على رأس المائة الثانية. [شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد ٢٥/٤٠].

وقال ابن كثير: قد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف من مفسر ومحدث وفقيه ونحوي ولغوي وغيرهم. [مصابيح التنوير على صحيح الجامع ١/٢٥٤].

قلت: والمجددون لا يقلون عن المؤسسين؛ فإن الأوائل وضعوا أساس هذا الدين وأقاموا صرح التوحيد، والمجددين حافظوا على هذا التراث الخالد التليد فجددوا ما وَهى من أركانه، وأحيوا ما مات من السنن، ولا زالوا ويشهد لهذا حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل أمتي مثل المطر؛ لا يُدْرَى أوله خير أم آخره». [صحيح الجامع: ٥٨٥٤].

ويقول الألباني رحمه الله: اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد واجتهد الآخرون في التجريد والتخليص، فكلٌّ مغفور له، وسعيه مشكور وأجره موفور، وخير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى المجموع أو إذا اشتبه الحال في زمن عيسى فيكون خير الناس قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [مفاتيح التنوير: ١/١١٣].

والكتب السابقة التي هي أساس الأديان الأخرى هذه الكتب إما أخفيت لقوله تعالى: «يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ» [المائدة: ١٥].

وإما حُرِّفت لقوله تعالى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ» [المائدة: ١٣]، وإما أن يكتب الأحبار والرهبان والكهنة تلك الكتب بأيديهم، وينسبوها إلى الله زورًا: «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ» [البقرة: ٧٩]، فالمؤلف والمحرَّف والمخَبأ من الكتب التي عند أصحاب الأديان الأخرى تدل على أن الأديان باطلة، وغير محفوظة وغير محددة.

ومن هنا كانت هذه الأمة خير أمة في الدنيا؛ لأن دينها محفوظ بحفظ الله لأساسه وهو القرآن، وبإخلاص علمائها في تجديد ما اندرس منه.

رابعًا: لأن رسولها معصوم وهي معصومة:

قال الله تعالى: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ» [الشورى: ٥٢-٥٣]، وقال: «وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ» [الحج: ٦٧]، وقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ» [المائدة: ٦٧].

فالله سبحانه أكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم على صراط الله المستقيم، وهو على الهدى ومعصوم من الزلل والزيغ والانحراف، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الفصل في أن الله أكرمه وعصم أمته من الاجتماع على ضلال، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة». [حسنه الألباني في صحيح الجامع: ١٧٨٦].

المقصود هم الذين على الاستقامة، وإلا كيف يلتقي من هو على استقامة مع أنصاف الفرق الضالة التي هي داخلة في أمة الإجابة، وأمة الإجابة يدخل تحتها فرق كثيرة، ولكن الفرقة الناجية هي التي يكون اجتماعها وإجماعها هو الحجة، أما المبطلون المنحرفون عن الجادة فلا يُعتد بهم في الاجتماع ولا عبرة بهم، والمراد هم الذين يكونون على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

إن صفات الله تعالى لا يمكن أن يكون عليها إجماع ؛ لأن أكثر الفرق إما شبّهوا أو أوّلوا أو حرّفوا، ومن الفرق من قال: إن القرآن مخلوق، ومن الفرق من قالت: إن الله لا يُرى مطلقًا في الدار الآخرة، ومن الفرق من قال: إن العاصي مخلد في النار. [شرح سنن أبي داود: ٤٩٥/٢٣].

والأمم الأخرى رُسُلها معصومون، أما الأمم فهي ضالة، ومنحرفة وتجتمع على ضلالة كاجتماع النصارى على أن عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة، ولم تقل منهم فرقة أبداً أنه عبد الله ورسوله، والأمة اليهودية اجتمعت على ضلالة بل ضلالات، ومنها جحود رسالة عيسى ومحمد عليهما السلام، وهم منذ نزول سورة الفاتحة حكم الله في أمرهم أنهم الضالون والمغضوب عليهم وحذرنا الله تبارك وتعالى من الركون إليهم: « وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ » [هود: ١١٣].

خامسًا: رحمة الله لها في الدنيا:

لقد خفف الله سبحانه وتعالى عن هذه الأمة ووضع عنها آصارًا كانت على الأمم السابقة، فمثلاً بنو إسرائيل لما عبدوا العجل وعكفوا عليه كانت توبتهم عند الله أن يقتل بعضهم بعضًا قال تعالى: «فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ» [البقرة: ٥٤]، وأما هذه الأمة المرحومة لو وقع فيها عبادة وعكوف على ضريح من الأضرحة، وعبادة صاحب الضريح فلم يأمر الله سبحانه وتعالى حتى تقبل التوبة أن يقتل بعضنا بعضًا، بل على من وقع في الشرك أن ينخلع منه، ويندم على ما وقع منه، ويعزم على عدم العودة إليه.

كذلك رحم الله هذه الأمة في الدنيا بالتجاوز عن الوساوس وحديث النفس لما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم». [البخاري، بدء الوحي، ومسلم: ٣٤٦].

سادسًا: لأن أعمارها قصيرة وأجورها كبيرة:

عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أجلكم في أجَل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال من يعمل من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً قال الله هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا قال، فإنه فضلي أُعطيه من شئت». [البخاري: ٣٤٥٩ باب ما ذكر عن بني إسرائيل].

وهي خير أمة في الآخرة لما يلي:

أولاً: لأنها شاهدة على الأمم كلها يوم القيامة:

قال الله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » [البقرة: ١٤٣]، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ: ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله جل ذكره: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » والوسط: العدل. [البخاري: ٣٣٣٩].

والأمة فوق كل الأمم مكانًا ومعنى فهي شاهدة على الأمم فهذه فوقية المعنى، وتكون يوم القيامة على كوم فوق الناس مكانًا، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول..». [مسلم: ٢٧٨]. وفي رواية: «مشرفين على الناس، ما من الناس أحد إلا وَدَّ أنه منا وما من نبي كَذَّبه قومه إلا ونحن نشهدُ أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل».

ثانيًا: مصائبها في الدنيا سبب رحمتها في الآخرة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه الأمة أمة مرحومة، عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دُفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيُقال له: هذا فداؤك من النار». [صحيح الجامع: ٢٢٦١]. وفي رواية: «جعل الله عذابها في الدنيا القتل والزلازل والفتن». [المستدرك على الصحيحين: ٨٣٧٢، وصححه الذهبي].

فالذنوب تكفرها الفتن والزلازل، وما يصيب هذه الأمة في الدنيا يُكفر به من ذنوبها في الآخرة حتى تنال رحمة الله سبحانه.

ثالثًا: لأنها أيسر الأمم حسابًا وفيها من لا يحاسب:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عز وجل، فزادني مع كل واحد سبعين ألفا « قال أبو بكر: رضي الله عنه: فرأيت أن ذلك آتٍ على أهل القرى ومصيب من حافات البوادي». [السلسلة الصحيحة: ١٤٨٤].

وجاء وصفهم في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب». قيل: من هم؟ قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». [مسلم: ٢١٨].

وفي رواية: « وعدني ربي سبحانه أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألف، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز و جل». [ابن ماجه (٤٢٨٦) وصححه الألباني].

رابعًا: لأنها أول الأمم دخولاً الجنة:

لأن يوم القيامة وما فيه من الأهوال يتمنى الناس الخلاص منه، ولو إلى النار، فكيف يكون حال الذين عَجَل الله سبحانه لهم وجعل لهم الأسبقية في الدخول إلى الجنة، فهي خير أمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون الأولون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبل، وأوتيناه من بعدهم، هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا، والنصارى بعد غد». [متفق عليه].

خامسًا: لأنها أكثر أهل الجنة:

الجنة هي رحمة الله يرحم بها من يشاء من عباده، فكل سكان الجنة هم خير الناس، وسكان النار هم شرار الناس، فإذا كان أكثر سكان الجنة هم من هذه الأمة فهي خير أمة أخرجت في الآخرة، عن جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع الجنة». قال: فكبرنا. ثم قال: «أرجو أن يكونوا ثلث الناس». فكبرنا. ثم قال: «أرجو أن تكونوا الشطر». [أخرجه أحمد (١٤٧٦٦)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ « قال: فكبرنا، ثم قال: « أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ « قال: فكبرنا، ثم قال: « إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض». [متفق عليه].

عود على بدء: إنها والله خير أُمة لأنها أقل الأمم عمرًا في هذه الدنيا، ومع هذا هي أول الأمم دخولاً الجنة وأكثر الأمم سكونًا الجنة، حتى إنها نصف أهل الجنة، فيا أمة الإسلام لله وحده ولرسوله اتبعي وبدينه تمسكي، ولا ترضي بغير ربك إلهًا ولا حكمًا، ولا ترضي بغير رسولك قائدًا ومرشدًا ومعلمًا، ولا ترضي بغير قرآنك دستورًا ومنهجًا وشريعة ونظامًا.

اللهم استخدمنا ولا تستبدلنا، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة الظبية صاحبة الخشفين مع النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة «١٤٠»

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وانتشرت بين الناس وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة.

أولا: المتن:

رُوِيَ عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء، فإذا مناد يناديه: يا رسول الله، فالتفت فلم يرَ أحدًا، ثم التفت فإذا ظبية موثقة، فقالت: أدْنُ مِنِّي يا رسول الله، فَدَنَا منها، فقال: ما حاجتك؟

قالت: إنَّ لي خِشْفَين في هذا الجبل فَحُلَّني حتى أذهب فأرضِعهما، ثم ارجع إليك.

قال: وتفعلين؟

قالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أفعل.

فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها، ثم رَجعت فأوثقها وانتبه الأعرابي، فقال: ألك حاجة يا رسول الله؟

قال: نعم تطلق هذه، فأطلقها، فخرجت تعدو وهي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله». اهـ.

قُلْتُ: الخِشْفُ: بكسر الخاء وسكون الشين: ولد الغزَال يطلق على الذكر والأنثى والجمع (خُشوف) مثل حمل وحمول. كذا في «المصباح المنير» (ص١٧٠).

ثانيا: التخريج:

هذه القصة أخرجها الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣١/٢٣) (ح٧٦٣) قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن التستري، والحسين بن مهان قالا: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا حَبان بن أغلب بن تميم المسعودي، عن أبيه عن هشام بن حسان عن الحسن، عن ضبة بن محصن عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء فإذا مناديًا يناديه... القصة.

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أورده الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب» (٥٦٨/١)، وهذا الكتاب اشتهرت أحاديثه على ألسنة القصاص والوعاظ ظنًا منهم أن كل ما أورده الحافظ المنذري في كتابه هذا صحيح، وهذا الظن تولد عندهم لعدم الدراية بمنهج

الإمام الحافظ المنذري رحمه الله في «الترغيب والترهيب»، ودراسة مناهج المحدثين من الأمور الضرورية لطالب هذا الفن، وهذا هو منهج الإمام الحافظ المنذري للوقوف على درجة الحديث في كتابه «الترغيب والترهيب» (١/٣٦، ٣٧).

١- إذا كان إسناد الحديث صحيحًا أو حسنًا أو قاربهما صدرته بلفظة: «عن».

٢- وكذلك إن كان مرسلاً أو منقطعًا أو معضلاً أو في إسناده راو أو ضعيف وثق، أو ثقة ضُعِّف وبقية رواة الإسناد ثقات أو فيهم كلام لا يضرُّ، أو روى مرفوعًا والصحيح وقفه، أو متصلاً والصحيح إرساله، أو كان إسناده ضعيفًا لكن صححه أو حسنه بعض من خرجه، أصدره أيضًا بلفظة: «عن»، ثم أشير إلى إرساله وانقطاعه أو عضله أو ذلك الراوي المختلف فيه».

٣- وإذا كان في الإسناد من قيل فيه: كذاب، أو وضاع، أو متهم أو مجمع على تركه، أو ضعفه، أو ذاهب الحديث، أو هالك، أو ساقط، أو ليس بشيء، أو ضعيف جدًا، أو ضعيف فقط، أو لم أر فيه توثيقا بحيث لا يتطرق إليه احتمال التحسين صدرته بلفظة: «رُوِيَ».

ولا أذكر ذلك الراوِي، ولا ما قيل فيه ألبتة فيكون للإسناد الضعيف دلالتان:

أ- تصديره بلفظة «رُوِيَ».

ب- وإهمال الكلام عليه في آخره». اهـ.

قُلْتُ: ولقد بين الإمام الحافظ المنذري منهجه في كتابه «الترغيب والترهيب» في ست عشر صفحة لم تتسع صفحات المجلة لذكرها، وحسبي هذا القدر الذي به تعرف درجة الحديث والذي بتطبيقه على هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة يتبين:

١- الخبر الذي جاءت به هذه القصة في «الترغيب والترهيب» (١/٥٦٨) صدَّره الإمام الحافظ المنذري بلفظة: «رُوي».

٢- وإهمالَ الكلام عليه في آخره ثم عزاه إلى الطبراني.

قُلْتُ: وبتطبيق هذا على ما أوردناه آنفًا من منهج الحافظ المنذري نجده ينطبق على النوع الثالث الذي يكون للإسناد الضعيف، وهو يشمل جميع مراتب الضعف، وذلك بمعرفة الراوي الذي هو علة الحديث.

وكذلك أورد هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٩٤) وقال: «رواه الطبراني وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف». اهـ.

قلت: تبين من منهج الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» أن الخبر ضعيف والحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» بين علة هذا الخبر وهو أغلب ابن تميم وقال: «ضعيف».

وهذا المصطلح عند الحافظ الهيثمي لم يبين درجة هذا الضعيف بالنسبة للراوي، وكم زلت أقدام وضلت أفهام فحسنت أخبارًا واهية لعدم الوقوف على درجة الضعف في قول الحافظ الهيثمي في الراوي: «ضعيف» عندما يأتي من طريق آخر.

رابعًا: الوقوف على درجة الضعيف:

أغلب بن تميم علة هذا الخبر الذي جاءت به القصة.

١- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٢/٧٠) (ت١٧٠): «أغلب بن تميم بن النعمان الكندي منكر الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه؛ لأن الإمام البخاري رحمه الله له من بين مناهج المحدثين في الجرح والتعديل منهج دقيق، يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» ص(٥٠٤) قال: «وللبخاري في كلامه على الرجال توق زائد، وتحرّ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا...». اهـ.

قلت: ولقد بين السيوطي في «التدريب» (١/٣٤٩) معاني هذه المصطلحات عند البخاري فقال في التنبيهات: «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه».

وبهذا يتبين شدة الجرح في أغلب بن تميم الذي قال فيه البخاري: «منكر الحديث».

٢- أورده الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/٤١٦، ٢٢٩) قال: «أغلب بن تميم بن النعمان الشعوذي الكندي بصري يكنى أبا حفص، حدثنا محمد بن أحمد بن حماد، حدثنا العباس ومعاوية قال أحدهما: سمعت يحيى، وقال الآخر عن يحيى قال: أغلب بن تميم الشعوذي بصري وقد سمعت منه، وليس بشيء». اهـ.

٣- وأورده الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/١٧٥) قال: «أغلب بن تميم النعمان السعدي من أهل البصيرة كنيته أبو حفص منكر الحديث، يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم حتى خرج

عن حدّ الاحتجاج به». اهـ.
٤- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٢١/٢٧٣/١) وأقر أقوال أئمة الجرح والتعديل فقال: «أغلب بن تميم قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن حبان: خرج عن حدّ الاحتجاج به لكثرة خطئه». اهـ.
هـ- وأورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٤٣٤/٥١٨/١) وأقره ما أقره الإمام الذهبي في أغلب بن تميم من أقوال أئمة الجرح والتعديل وزاد قائلاً: «وقال مسلمة بن قاسم: منكر الحديث، ضعيف، وذكره العقيلي، والساجي، وابن الجارود في الضعفاء». اهـ.
٦- وأخرج الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٠/١١٧/١) قال: «أغلب بن تميم الكندي ويقال المسعودي حدثني آدم، قال: سمعت البخاري قال: أغلب بن تميم الكندي أبو حفص منكر الحديث».
وحدثنا محمد قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى يقول: أغلب بن تميم المسعودي بصري، سمعت منه، وليس بشيء. قال: وليس يتابع». اهـ.
قلت: يتبين مما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن أغلب بن تميم علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة: ضعيف ضعفًا شديدًا لا يزول بالمتابعات حيث تبين أنه: ليس بشيء، وليس يتابع، ومنكر الحديث ولا تحل الرواية عنه بل خرج عن حد الاحتجاج به لكثرة خطئه.
وبهذه العلة تصبح القصة منكرة واهية.

خامسًا: علة أخرى للقصة:

وهذه علة أخرى تزيد القصة وهنًا على وهن؛ حيث تبين أن العلة الأولى أغلب بن تميم والعلة الأخرى ابنه حبان الذي روى هذه القصة الواهية عن أبيه فإذا كان أبوه أغلب منكر الحديث لا تحل الرواية عنه فابنه حبان أوهى منه:
١- فقد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١٦٧٩/٤٤٨/١) وقال: «حَبّان بن أغلب السعدي، شيخ لأبي حاتم، وهَّاه أبو حفص الفلاس، وهو بالفتح، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث». اهـ.
٢- قلت: يتبين ذلك من قول الإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٩٧/٢/١) ت(١٣٢٣) قال: «حبان بن أغلب بن تميم الشعوذي البصري روى عن أبيه الأغلب بن تميم سمع منه أبي أيام الأنصاري، سمعت أبي يقول: ضرب عمرو بن علي الصيرفي على حديثه في كتابي، وسمعت أبي يقول هو ضعيف الحديث». اهـ.
٣- أورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢٠٩/٢) (٢٢٥٧/٩٦) قال: «حبان بن أغلب السَّعدي ثم ذكر ما ذكره فيه الإمام الذهبي، وأقره ثم قال: روى عن أبيه أغلب بن تميم، ثم أورد هذه القصة من مناكير حبان بن أغلب فقال: «قال ابن زيد في كتاب الأخبار: حدثنا زكريا بن يحيى بن خلاد وذلك بعد وفاة زكريا بقليل، حدثنا حبان بن أغلب بن تميم السعدي من بني سعد بن لقيط بطن من الأزد، حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن عن ظبية بن محصن، عن أم سليم، فذكر حديث الظبية: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلقها، وترجع، وفيه قول الأعرابي: يا رسول الله، إني اصطدتها فاسأل بأبي أنت وأمي، فإن كان لك فيها حاجة، قال: نعم، فأطلقها فمرت وهي تشد». اهـ.

سادسًا: سقط وتصحيف:

١- للأمانة العلمية ذكرت سند قصة الظبية الذي نقله الحافظ ابن حجر في «اللسان» عن ابن زيد في كتاب الأخبار وهو من طريق زكريا بن يحيى ابن خلاد عن حبان بن أغلب بن تميم عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن ظبية بن محصن، عن أم سليم فذكر حديث الظبية.
٢- بمقارنة هذا السند بالسند الذي أخرج به حديث الظبية الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣١/٢٣) (ح٧٦٣) فقد أخرجه من نفس طريقة زكريا بن يحيى عن حبان بن أغلب بن تميم المسعودي، عن أبيه، عن هشام بن حسان عن الحسن عن ضبية بن محصن عن أم سلمة، فذكر حديث الظبية.

الاستنتاج:

نستنتج من المقارنة أن سند قصة الظبية الذي أورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» عن ابن زيد في كتاب الأخبار حدث فيه:

١- سقط في الإسناد:

يتبين ذلك من تخريج الإمام الحافظ الطبراني حيث أخرج القصة من طريق زكريا بن يحيى عن حبان بن أغلب بن تميم، عن أبيه أغلب بن تميم، عن هشام بن حسان به.
ولكن ما نقله الحافظ ابن حجر في «اللسان» عن ابن زيد في كتاب الأخبار جعل السند عن حبان بن أغلب بن تميم، عن هشام بن حسان فأسقط «أغلب ابن تميم» والد حبان.
ومن لا دراية له يحسب أن الأمر هين، ولكنه عند

علماء الفن عظيم، حيث يتبين أن العلة الرئيسية في بطلان هذه القصة هو الراوي «أغلب بن تميم» الذي لا يحل الرواية عنه حيث إنه منكر الحديث ليس بشيء كما بينا آنفًا.

كذلك لم يثبت لحبان بن أغلب بن تميم أنه روى عن هشام بن حسان، ولكن الثابت أن حبان بن أغلب روى عن أبيه أغلب بن تميم كما بينا آنفًا في قول الإمام الحافظ ابن حاتم في «الجرح والتعديل»، وسند حديث القصة الذي أخرجه الإمام الحافظ الطبراني وكذلك سند حديث الإمام الجائر الذي أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤١٦/١) من طريق حبان بن أغلب بن تميم عن أبيه.

٢- التصحيف:

تبين ذلك من تخريج الإمام الحافظ الطبراني، حيث أخرج القصة عن ضبَّة بن محصن عن أم سلمة.

ولكن ما نقله الحافظ ابن حجر في «اللسان» عن ابن زيد في كتاب الأخبار، جعل القصة عن ظبية بن محصن عن أم سليم، فأول تصحيف: هو الراوي «ضبة بن محصن» صُحِّف إلى «ظبية بن محصن». التصحيف الثاني: هو الراوي «أم سلمة» صُحِّف إلى «أم سليم».

وهذا أمر خطير لا يعرف قدره إلا أصحاب هذا الفن، فقد بين أهمية هذا النوع الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع الخامس والثلاثون «معرفة المصحَّف من مسانيد الأحاديث ومتونها» قال: «هذا فن جليل إنما ينهض بأعبائه الحذّاق من الحفاظ والدارقطني منهم، وله فيه تصنيف مفيد». اهـ.

ولقد تبين هذا الفن الجيل في ثلاث وستين سطرًا ختمها بأقسام التصحيف قال:

١- فقد انقسم التصحيف إلى قسمين: أحدهما في المتن، والثاني في الإسناد.

٢- وينقسم قسمة أخرى إلى قسمين: أحدهما تصحيف بصر، والثاني تصحيف السمع.

٣- وينقسم قسمة ثالثة إلى: تصحيف اللفظ وهو الأكثر، وإلى تصحيف يتعلق بالمعنى دون اللفظ». اهـ.

قُلْتُ: وبتطبيق هذه الأقسام يتبين:

تصحيف الراوي «ضبة بن محصن» إلى «ظبية بن محصن»، وتصحيف الراوي الأعلى «أم سلمة» إلى «أم سليم».

١- هذا باعتبار الموقع: تصحيف في الإسناد لا في المتن.

٢- وباعتبار منشئه: تصحيف بصر لا تصحيف سمع.

٣- وباعتبار لفظه أو معناه: تصحيف لفظ لا تصحيف معنى.

الأسباب التي تبين بها هذا التصحيف:

١- لا يوجد في رواة الحديث من اسمه ظبية بن محصن.

٢- ضبة بن محصن أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٨٩٦/١٥٢/٩)، وبين أنه لم يرو إلا عن أم سلمة في الصحابيات قال: «ضبة بن محصن العنزي البصري روى عن عمر بن الخطاب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم». ثم قال: روى عنه الحسن البصري كما هو مبين في سند الطبراني.

٣- الإمام الحافظ المزي بين في «تهذيب الكمال» (٨٥٣٠/٤٣٨/٢٢) أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه محصن العنزي.

٤- كما بَيَّن في تهذيب الكمال (٨٥٥٧٢/٤٧٤/٢٢) أن أم سُليم بنت ملحان لم يرو عنها ضبة بن محصن، ولكن روى عنها ابنها أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعمرو بن عاصم الأنصاري، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. اهـ.

قُلْتُ: بتبين هذا التصحيف نقف على حقيقة الراوي الأعلى وهو أصل من أصول مناهج المحدثين في التخريج كما هو مبين في المعاجم والمسانيد وتحفة الأشراف، وحتى لا يُتوهم أن الطريق الواحد طريقان، ولا يتقول علينا من لا دراية له بهذا التصحيف فيظن أن هناك شاهدًا للقصة من حديث أم سليم أخرجه ابن زيد في كتاب الأخبار.

سابعًا: علة ثالثة للقصة

قال الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» (٦٣٠/٢) باب «قوم ثقات في أنفسهم لكن حديثهم عن بعض الشيوخ فيه ضعف» قال: «ومنهم هشام بن حسان: قال يعقوب بن شيبة هو يعد في أصحاب ابن سيرين ومن العلماء به وليس يعد من المتثبتين في غير ابن سيرين». اهـ.

قلت: لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣١٨/٢): «هشام بن حسان الأزدي أبو عبد الله البصري، ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال؛ لأنه قيل كان يرسل عنها». اهـ.

ثامنًا: علة رابعة للقصة

لما كان الخبر الذي جاءت به القصة من حديث

حبان بن أغلب بن تميم عن أبيه عن هشام بن حسان عن الحسن البصري عن ضبة بن محصن عن أم سلمة.

قُلْتُ: الحسن بن أبي الحسن البصري أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» (٧/٢) وقال: «الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام المشهور، من سادات التابعين رأى عثمان وسمع خطبته، ورأى عليًا ولم يثبت سماعه منه، كان مكثرًا من الحديث يرسل كثيرًا عن كل أحد، وصفه بتدليس الإسناد النسائي وغيره». اهـ.

قُلْتُ: فالحسن مدلس ولم يصرح بالسماع عن ضبة بن محصن فلا يقبل حديثه كما هو مقرر عند علماء الصنعة.

من هذا التحقيق يتبين أن السند الذي جاءت به هذه القصة تالف ومسلسل بالعلل من طعن شديد في الرواة وسقط خفي في الإسناد من تدليس وإرسال خفي وبهذا تصبح القصة واهية، ولهذا ضعَّف هذه القصة الإمام الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» والإمام الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب»، وأقره الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٤٧/١) ح(٤٨٢) وقال: «ضعيف جدًا».

تاسعًا: شاهد للقصة لا يعتبر به:

وحتى لا يتقول علينا متقول بأن هناك شاهدًا للقصة فلا بد من تبيين هذا الشاهد.

فقد أخرج الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٥/٦) ح(٥٥٤٣) قال: حدثنا محمد بن عثمان ابن أبي شيبة، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون قال: حدثنا عبد الكريم بن هلال الجُعفي، عن صالح المريّ، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم قد صادُوا ظَبْيةً، فشدوها إلى عمود الفسطاط، فقالت: يا رسول الله، إني وضعت لي خشفان فاستأذن لي أن أرضعهما ثم أعود إليهم، فقال: أين صاحب هذه؟ فقال القوم: نحن يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خَلّوا عنها حتى تأتي خشفها ترضعهما وتأتي إليكم. قالوا: ومن لنا بذلك يا رسول الله؟ قال: أنا، فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها، فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أين أصحاب هذه؟ قالوا: هو ذا نحن يا رسول الله، قال: تبيعونها؟ قالوا: يا رسول الله، هي لك، فحلوا عنها فأطلقوها فذهبت». اهـ.

قال الإمام الحافظ الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن ثابت إلا صالح المري تفرد به عبد الكريم بن هلال». اهـ.

التحقيق

هذا الشاهد تالف وعلته صالح المري قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٧٧٣/٢٨٩/٢): «صالح بن بشير الزاهد أبو بشر المُرِّي الواعظ بصري شهير عن الحسن، وابن سيرين، وثابت، ضعَّفه ابن معين، والدارقطني وقال أحمد: هو صاحب قصص ليس هو صاحب حديث، ولا يعرف الحديث، وقال الفلاس: منكر الحديث جدًا، وقال النسائي: متروك، وقال البخاري: منكر الحديث. وروى حاتم ابن الليث، عن عفان قال: كنا نحضر مجلس صالح المري فإذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى». اهـ.

قلت: ولقد بيَّنا آنفًا معنى مصطلح البخاري إذا قال في الراوي: «منكر الحديث»، أما مصطلح النسائي إذا قال في الراوي: «متروك». فقد بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) قال: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به القصة وأخرجه الطبراني في «الأوسط» من حديث أنس لم يزد القصة إلا وهنًا على وهن، وهذا ما بينه الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣) قال: «قال الشيخ أبو عمرو: لم يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: فهذا البحث يبيِّن الغاية التي من أجلها كانت سلسلة «تحذير الداعية».

أ- فالقارئ الكريم: يقف على درجة القصة.

ب- والداعية: يكون على حذر ويسلم له عمله على السنة وحدها.

جـ- وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

ولقد بينا في التحذير السابق البدائل الصحيحة من القصص الصحيحة الثابتة من دلائل النبوة التي تغني عن هذه القصص الواهية التي نحذر الناس منها.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الرد على فضيلة شيخ الأزهر في بعض ما جاء بوثيقة الحريات

بشأن فرية تقديم العقل على النقل

الحلقة الثانية

إعداد / أ.د محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.. وبعد:

فقد سبق أن ذكرتُ في العدد الماضي بعض الأدلة التي تدحض القول بمعارضة العقل للنقل، وعرفنا كيف بنى أصحاب تلك المقولة قاعدتهم في هذه القضية وتقسيماتهم على أسس باطلة، وأن القائلين بذلك قد غاب عنهم أن القياس إذا صادم النص وقابله، كان قياساً باطلاً.. ونستكمل ذكر بعض الأدلة الأخرى القاضية ببطلان معارضة العقل الصريح مع النقل الصحيح أو تقديم العقل على التنزل، ولنبدأ هذه المرة بتراجع الفخر الرازي المؤسس والمنظر لهذه القاعدة التي لا يزال يتبناها وينافح عنها فضيلة شيخ الأزهر، على الرغم من تراجع الرازي عنها.. فنقول بحول الله وقوته:

٩- لقد تراجع فخر الدين الرازي فيمن تراجعوا من أئمة الاجتهاد والتشريع - الذين ورد ذكرهم في وثيقة شيخ الأزهر للحريات - عن تلك القاعدة الكلامية القائلة بأنه (إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وأوِّل النقل)، والتي فتحت الباب قديماً أمام كل مكذب للرسل وللوحي، وأفضت بأهل الكلام في النهاية إلى نفي وعدم إثبات صفات الله الخبرية والفعلية، وتأويل نصوصها بما لا دليل عليه من قرآن ولا سنة، بزعم تنزيهه تعالى عنها، وبدعوى تعارض نصوصها مع العقل؛ وكونها موهمة للتشبيه والتجسيم، كما أفضت إلى اتهام كل من يثبتها على الوجه اللائق به سبحانه من غير تشبيه ولا تجسيم بأنه ضال ومبتدع في دين الله ومخالف لما هو الأحكم والأعلم، مع أن هذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته.

تراجع الرازي عن كل هذا، وكان من كلامه: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات - يعني: المنافي للتأويل أو تفويض المعنى -: «ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ» [طه: ٥]، «إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ» [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي - يعني المجمل -: «لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ» [الشورى/ ١١]، «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا» [طه/ ١١٠]»، ثم قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي». [سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٥٠١ ط. م. الرسالة، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١٤٨ ط. دار الهيثم].

ومما ساقه ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية بنفس الصفحة، ما كان أيضاً من الرازي عندما دخل على تلميذه شمس الدين الخسروشاهي

يوماً، فقال له الرازي: «ما تعتقده؟، قال: ما يعتقده المسلمون - يعني: الإثبات وعدم التأويل - فقال: وأنت منشرحُ الصدر لذلك مستيقنٌ به؟، قال: نعم، فقال الرازي: (أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد)، وبكى حتى اخضلت لحيته» ا.هـ.

وكلاماً مثل هذا حكاه ابن أبي العز عن الإمام الجويني وابن أبي الحديد والشهرستاني والخونجي والغزالي وغيرهم.. فليُراجع وليُراجع معه ما ذكره - على سبيل المثال لا الحصر - الإمام الذهبي في كتابيه (سير أعلام النبلاء) ١٩/ ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٤٤، ٣٤٦ و(العلو) ص ١٨٨ والسبكي في (طبقات الشافعية) ط. الحلبي ٥/ ١٨٥، ١٩١، ٨/ ٩٦ وابن تيمية في الحموية ص ٧، ٥٣: ٥٩ وابن العماد في (شذرات الذهب) ط. دار الفكر ٣/ ٣٦١، ٣٦٢، ٥/ ٢٢ والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ٥٥ ط. م. دار المعارف وابن القيم والموصلي في مختصر الصواعق ص٩ وابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٤٢٦.. وقد ساق جلهم عن الفخر الرازي، ما ذكره في كتابه (أقسام اللذات) الذي صنفه في نهاية حياته من قوله نظماً:

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال فزالوا والجبال جبال

وكان حاله قبل ذلك، هو ما حكاه عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠١ قائلاً: «قد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم.. وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه تُوفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر»ا.هـ.

ومن صريح ما جاء عنه في أمر تراجعه، ما ذكره الحافظ ابن كثير بحقه، حيث قال في البداية والنهاية ١٣/ ٥٥: «وقد ذكرتُ وصيته عند موته، وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها - يعني في وصيته - إلى طريقة السلف، وتسليم ما ورد - يعني: مما أوَّله في آيات الصفات - على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه» ا.هـ..

فيكون الرازي بهذا قد تراجع عن قاعدته المدعاة بأنها ذهبية وعما تمخض عنها من نتائج وما بناه عليها من أسس، وأعذر بذلك إلى الله.. فما يكون عذرنا نحن يا فضيلة شيخ الأزهر ويا كلَّ علماء وطلاب وأساتذة وشيوخ الأزهر؟!

هل يسوغ لنا - مع واحترامي وتقديري للجميع - أن ندين الله بالذي تاب الرجل إلى الله منه، ورجع عن القول به من تأويل ما نص عليه صحيح النقل من نصوص الصفات وغيرها؟!.. هل يليق بنا ونحن ننشد الحق أن نتجاهل ما كتبه ابن تيمية وعنون به كتابه المسمى: (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية)، وهو كما نرى قد صُنف خصيصاً للرد على الفخر الرازي وعلى كتابه (تأسيس التقديس)، وقد نقض شيخ الإسلام عرى ما احتج فيه الرازي من قواعد المعتزلة في المعقول والمنقول!.. هل يجوز أن نتمسك وندرس وندرِّس لأبنائنا في الأزهر الشريف عقيدة تخلى أصحابها عنها وانخلعوا وتبرئوا إلى الله منها، ونترك ما استقروا عليه ولقوا الله به؟!.

١٠:- لله در الفخر الذي كان يعدُّ مرجعاً للمتكلمين وأكثر المنظرين لمذهب الأشاعرة، ولله در أبي الحسن الأشعري إمام المذهب، ولله در كل من رجع إلى ما رجعا إليه، فوالله ما رجعا وما رجعوا إلا إلى الصواب.. ولقد كان الصحابة وتابعيهم بإحسان يشتد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال ولا يقرون على ذلك، وتحكي كتب التراجم أن ابن عباس كان يحتج في متعة الحج بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره لأصحابه بها، فيقولون له: إن أبا بكر وعمر أفردا بالحج ولم يتمتعا، فلما أكثروا عليه قال: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر؟).. ولما سُئل ابن عمر عن متعة الحج فأمر بها، فقيل له: إن أباك نهى عنها، فقال: إن أبي لم يُرد ما تقولون، فلما أكثروا عليه قال: (أمْرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوه أم أمر عمر؟!).. فكانت نصوص الوحي أجل في صدورهم وأعظم في قلوبهم من أن يعارضوها برأي أحد من الناس.

ولكم حذروا من الأخذ بالرأي الناشئ عن العقل دون الشرع المبتنى عن النقل، وما خطر ببال واحد منهم أن يعارض هذا بذاك، أو يرضى برأي يخالف إجماعاً أو نصاً من كتاب أو سنة، حتى قال بلال بن سعد: (ثلاث لا يقبل الله معهن عمل: الشرك والكفر والرأي)، فلما سئل ما الرأي؟، قال: (يترك سنة الله ورسوله ويقول بالرأي).. وقال بعض العلماء: (ما أُخرج آدم من الجنة إلا بتقديم الرأي على النص، وما لُعنَ إبليس وغُضب عليه إلا بتقديم الرأي على النص، ولا هلكت أمة من الأمم إلا بتقديم آرائها على الوحي،

ولا تفرقت الأمة فرقاً وكانوا شيعاً إلا بتقديم آرائهم على النصوص)، وكان عمر بن الخطاب t يقول: (يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيي اجتهاداً، والله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل والكتاب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة، فقال رسول الله: اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: بل تكتب كما نكتب: باسمك اللهم، فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيتُ عليه، حتى قال رسول الله: تراني أرضى وتأبى؟!).. والكلام في ذلك كثير، وكله يدل على أنه لا تثبت قدم أحد من الناس على الإيمان إلا بالتجرد والتسليم المطلق لما جاء عن الله ورسوله، وألا يعارضهما برأي أو عقل.

١١-: إن من المعلوم بالضرورة أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق بحيث لو وزن عقله بعقولهم لرجحها، وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان، وقال في حقه: « وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ » [الضحى: ٧].. فإذا كان أعقل الخلق على الإطلاق، ما حصل له الهدى إلا بالوحي، كما قال تعالى: « قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي » [سبأ: ٥٠]، فكيف يحصل لسفهاء العقول الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي، حتى اهتدوا إلى المعارضة بين العقل ونصوص الأنبياء؟!

١٢-: ثم إن الله تعالى قد أخبر في كتابه أن ما على الرسول إلا البلاغ المبين، وقد شهد الله له بالبلاغ الذي أمر بعده بقوله تعالى: « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ » [الذاريات: ٥٤]، وشهد بأنه قد بلغ: أعقل الخلق وأعلمهم وأفضلهم صحابته y، وأشهد ربه عليهم بذلك في أعظم مجمع وأفضله وهي عرفات في حجة الوداع.. فلو لم يعرف المسلمون ويتيقنوا بما أرسل به رسولهم، وحصل لهم منه العلم واليقين، لما حصل منه البلاغ المبين، ولما رُفع عنه اللوم، ولأحالهم الله في طلب العلم واليقين لما أوحى به إليهم، على عقولهم وآرائهم.. وهذا معلوم البطلان بالضرورة [ينظر مختصر الصواعق ص ٨٧، ٨٨].

١٣- إن العقول تختلف في نظرتها إلى الأشياء حُسناً وقبحاً، فما يراه عاقل خيراً يراه غيره شراً، ولذلك تتعارض المذاقات وتشتعل الاختلافات، فلو أخذت أمور الدين - بدعوى تعارض الأدلة - بالعقل، لما اتفق اثنان على شيء، ومن هنا كانت رحمة الله بعباده أن جعل السيادة في الأحكام الشرعية التكليفية - من واجبات ومستحبات ومحرمات ومكروهات - للنقل، فهو وحده الذي يَحكم بحسن الأشياء وقبحها، والعقل فيها تابع للنقل يؤيده ويعضده.. والقول بعكس ذلك أو غيره، من شأنه حتماً أن يُغير ملامح الشريعة ويَنشرَ البدع بين الناس ويجعل الدين ألعوبة في يد كل صاحب هوى متبع أو معجب برأيه من كل من هب ودب.

فانحصر استخدام العقل إذن، في: المباحات من أمور الدنيا وفي المصالح المرسلة وأمور السياسة الشرعية التي ليست فيها نصوص صريحة أو أدلة قطعية، فتلك فقط هي التي يجب فيها إعمال العقول وفي إطار من الالتزام بالقواعد العامة لأحكام الشريعة ومراعاة المصالح والمفاسد.. وهذا ما أمر به صلى الله عليه وسلم وعلمنا إياه في نحو قوله لأصحابه - وقد رآهم يلقحون النخل ونصحهم ألا يفعلوا فنقصت -: «أنتم أعلم بشئون دنياكم» [مسلم ٢٣٦٣].. وقوله - لمن أشار عليه من أصحابه أن ينزل بأدنى ماء ببدر، وقد سأله أوحي هو؟ -: «بل هي الرأي والحرب والمكيدة».. وكذا أخذه برأي سلمان في حفر الخندق.. إلخ.

١٤- إن مهمة العقل تجاه النقل لمن صَدق في إيمانه، تصديقُ المنقول تصديقاً جازماً يبلغ العقل به إلى حد اليقين إذا كان خبراً، وتنفيذه ما استطاع إذا كان أمراً، فلا يحل للعقل أن يرد دليلاً ولا أن يعطل نصاً بحجة تعارضه مع النقل، أو بزعم أن في ذلك تغليباً لمصلحة أو مراعاةً لمقصد من مقاصد الشريعة.. إذ أين اعتبار المصلحة أو مراعاة مقاصد الشريعة في ترك الشريعة وإهدار نصوصها والابتعاد بالفطرة عن طريقها طريق الرشاد.. يقول ابن القيم في شفاء العليل ص ٣٠٢: «العقل الصريح موافق للنقل الصحيح والشريعة مطابقة للفطرة، يتصادقان ولا يتعارضان، خلافاً لمن قال: إذا عارض العقل والوحي قدمنا العقل على الوحي.

فقبحاً لعقل ينقض الوحيُ حُكمَه
ويَشهدُ حقاً أنه هو كاذب

وقال في إعلام الموقعين نقلاً عن بعض أهل العلم: «كيف لا يخشى الكذبَ على الله ورسوله، من يحمل كلامهما على التأويلات المستنكرة.. ويكفي المتأولون كلام الله ورسوله بالتأويلات التي لم يُردها ولم يدل عليها كلام الله، أنهم قالوا برأيهم على الله، وقدموا آراءهم على نصوص الوحي وجعلوها عياراً على كلام الله ورسوله، ولو علموا أي باب شر فتحوا على الأمة بالتأويلات الفاسدة، وأي بناء للإسلام هدموا بها وأي معاقل وحصون استباحوها، لكان أحدهم أن يخر من السماء إلى الأرض، أحب إليه من أن يتعاطى شيئاً من

ذلك، فكل صاحب باطل قد جعل ما تأوله المتأولون عذراً له فيما تأوله هو، وقال ما الذي حرم عليَّ التأويل وأباحه لكم» [إعلام الموقعين ٤/ ٢١٦ بتصرف].

وإذا كان هذا هو حال من قبلنا ممن كانوا على عهد أئمتنا أئمة الهدى، فوالله إن الحال في زماننا الذي فيه رق الدين وضعف الإيمان لجد خطير، ولقد بلغ السيل فيه الزبى حتى وصل الأمر حتى ببعض علمائنا الأفاضل ممن ينتسبون إلى المدرسة العقلية – التي عنوا بها على حد ما جاء في كتاب (حوار هادئ مع الغزالي) ص ٩-: «التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، والإسراف في تأويل النصوص سواء كانت نصوص العقيدة أو نصوص الأحكام أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصى من تلك النصوص على التأويل» – وصل الأمر ببعضهم من دون ذكر أسماء، لأن يؤول الملائكة والشياطين والجن والسحر وقصة آدم والطير الأبابيل وغيرها، تأويلاً يخرجها عما أجمع عليه أهل العلم الأثبات، بل ولأن ينكر نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وظهور الدجال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، ولأن يدخل العقل في قضايا غيبية لا مدخل للعقل فيها ولا داعي للخلاف حولها.. ولحد أن صرنا نسمع من بيننا وممن وُصفوا بالعقلانيين والتنويريين والممثلين من يعد الطعن في الدين إبداعاً، ويجعل التخلي عن ثوابته من سمات التحضر، بل ومن تبيح لنفسها التعري كيوم ولدتها أمها وتدعو إلى ذلك – وبكل وقاحة وأمام مقار شرطة الآداب وفي بلد الأزهر – بنات جنسها.

أضحينا نرى – يا فضيلة شيخ الأزهر ويا كل علمائه ودعاته – من يحاول وباسم تجديد الخطاب الديني، تغيير الأفكار الشرعية التي ورد بشأنها نصوص قطعية الثبوت والدلالة، كعقوبة المرتد وفريضة الجهاد والحدود والحجاب الشرعي وتعدد الزوجات والطلاق والإرث.. ومن يفسر القرآن بمزاجه وعلى هواه.. ومن يرى بثاقب عقله أن هلاك أبرهة وأصحاب الفيل إنما كان بالجراثيم وبوباء الحصبة والجدري.. وأن نحو شق صدره صلى الله عليه وسلم ومعجزة إسرائه ومعراجه، أمور لم يعُد العقل يطيق قبولها.

وجدنا من ينكر السنة علانية وبكل تبجح.. ومن يستحل الربا والقينات والمعازف.. ومن يبيح السجائر للصائم في نهار رمضان.. ورأينا من يعتبر القرآن نصاً يخضع كسائر النصوص للنقد باعتباره كتاباً أدبياً.. ومن ينكر الشفاعة ومن ينكر عذاب القبر.. ومن يبيح لنفسه في أدبياته لأن ينال من العقيدة ومن الإسلام ومن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بل ومن الذات الإلهية.. إلى غير ذلك مما يندى له الجبين، ويعد جناية على الشريعة ولا يصدر عن صاحب دين.

راح كل أصحاب هذه الأفكار مع شنيع ما يرتكبونه وباسم الإبداع وحرية الفكر وتحرير العقل، يُلقبون بأفخم الألقاب والأوصاف وتعقد لهم الندوات والمؤتمرات، وتُفسح لهم وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة الطرق الموصدة باعتبارهم تحرريين أو مفكرين إسلاميين.. ولا ندري أين – يا فضيلة شيخ الأزهر – دور الأزهر من كل هذا؟، وأين هو من وثيقتكم؟، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

١٥- مما سبق يُعلم أن تغليب المصلحة المعتبرة وإعمال مقاصد الشريعة، تقتضي الحفاظ على قداسة النص وسد باب الذريعة أمام هذا السيل الجارف من المخالفات التي نتجت عن تقديم العقل وتأويل النقل، وليس العكس.. فلقد كان من نتيجة فتح هذا الباب لمساحة العقل، الوقوع في عظائم وفظائع وجرائم بحق ديننا الحنيف ومجتمعنا الطاهر النظيف، وكان في وسع الأزهر الحد منها لو هو بذل الجهد في الذب عن نصوص الشرع بدلاً من السعي في إهدارها أكثر مما هي مهدرة، ولو أنه كذلك وضع قواعد وضوابط للحد من تحكم العقل وسيطرته.. كان بمقدوره إن هو أمعن النظر وأدرك ما لدى السلف الصالح وأهل الاجتهاد من علم وفكر، أن يستل من نصوص الشريعة، أحكام كل ما يعن للأمة من مستجدات مهما بلغت دقتها أو ندر وقوعها، بدلاً من أن نُخضع بلادنا ونصوص وحينا لعادات وأفكار وحضارة من هم ليسوا على ديننا، وبدلاً من التعسف لأجل ذلك في تأويل النصوص وصرفها وإخراجها عن ظاهرها.

وسؤالنا الذي لا يزال يفرض نفسه: متى يدرك الناس أن للعقل قدراته المحدودة، وأنه ينبغي أن يكون له ضوابط وقيود وخطوط حمراء لا يتخطاها فيما يتعلق بالنصوص الثابتة، وأن النقل إنما جاء هدى للعقل، وأنه في ضوء صحيحه يتحرك كي يحاول فهم ما نقل إليه، فكم من إنسان قصد الحسنات فأخطأها وكم من فاجر قصد السيئات فارتكبها، ما يعني أن العقل وحده إن لم يكن له هاد يهديه ومرشد يرشده، زل وضل، وغوى باتباعه ما يمليه عليه هواه.. هدانا الله لما اختلف من الحق بإذنه إلى صراطه المستقيم.. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

هلاك الجبابرة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: في غمرة هذه الأحداث والفتن نسترجع مقالاً عطراً عن هلاك الجبابرة من تراث الرئيس الأسبق لجماعة أنصار السنة المحمدية تنسماً لعبير الماضي.

بقلم الشيخ
صفوت نور الدين
رحمه الله



عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

قال ابن حجر: وقد أنفقت كنوزهما في المغانم.

والحديث أخرجه البخاري ومسلم من رواية جابر بن سمرة ومن رواية أبي هريرة أيضا.

هلك: الهلاك يأتي بمعان متعددة منها افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى: «هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ».

وهلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله: «ويهلك الحرث والنسل».

والهلاك الموت كقوله تعالى: «إن امرؤ هلك»، وقال تعالى مخبرا عن الكفار: «وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ».

والهلاك بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا وذلك الفناء كقوله تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ».

والهلاك بمعنى العذاب كقوله تعالى: «أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»، وكقوله: «فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ»، وهذا هو الهلاك الأكبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم» أي: أن الضالين الذين ييئسون الناس من رحمة الله يقولون: هلك الناس: أي استحقوا النار بسوء أعمالهم فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبها لهم لا الله تعالى، وبالضم «أهلكُهم»: أي أكثرهم هلاكًا.

والهلاك الإفساد كقوله صلى الله عليه وسلم: «ما خالطت الصدقة مالاً إلا أهلكته».

وفي الحديث: «وتركها بمهلكة» أي: موضع الهلاك أو الهلاك نفسه.

والمتدبر في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجد أن المعاني السابقة من الموت والبطلان والعذاب والإفساد موجودة، لكن الموت هو المعنى

الأكثر ورودًا.

وفي حديثنا هذا: «إذا هلك كسرى» يعني مات.

وكسرى اسم لمن ملك الفرس، وقيصر اسم لمن ملك الروم، كما أن النجاشي اسم لمن ملك الحبشة، والمقوقس اسم لمن ملك المصريين (القبط)، كما كان فرعون اسمًا لمن ملك مصر قديمًا، وتُبَّع اسم لمن ملك اليمن، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حِمْير، وحضرموت.

قد يفهم من يقرأ ذلك الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم فلا قيصر بعده زوال ملك القياصرة عن جميع بلاد الأرض وزوال ملك كسرى عن جميع بلاد الأرض كذلك، وليس هذا هو المعنى المقصود لكن المعنى زوال مملكة كسرى عن بلاد العراق ومملكة قيصر عن بلاد الشام. قال ابن حجر: وسبب الحديث أن قريشًا كانوا يأتون الشام والعراق تجارا فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لهم تطييبًا لقلوبهم وتبشيرًا لهم بأن ملكهم سيزول عن الإقليمين المذكورين.

ثم قال ابن حجر: قيل الحكمة في أن قيصر بقي ملكه وإنما ارتفع عن الشام وما والاها، أما كسرى فقد ذهب ملكه أصلا ورأسا؛ ذلك أن قيصر لما جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قبَّله وكاد أن يسلم، وكسرى لما أتاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مزقه فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزق ملكه كل ممزق فكان ذلك. وعلى كل تقدير فالمراد من الحديث وقع لا محالة لأنهما لم تبق مملكتهما على الوجه الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الخطابي فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك، وذلك أنه كان بالشام وبها بيت المقدس الذي لا يتم للنصارى نسك إلا به ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سرًا وإما جهرًا فانجلى عنه قيصر واستفتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعد.

وفي حوادث سنة خمس عشرة قال ابن كثير ج٧ ص٥٤:

كان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطرًا وهو عائد، فلما عزم على الرحيل من بلاد الشام وبلغ الرها طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم، فقالوا: إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك فتركهم فلما وصل إلى شمشاط وعلا على شرف هنالك التفت نحو بيت المقدس وقال: عليك السلام يا سورية سلامًا لا اجتماع بعده إلا أن أسلم تسليم المفارق ولا يعود إليك رومي أبدًا إلا خائفًا حتى يولد المولود المشئوم ويا ليته لم يولد، ما أحلى فعله وأمرَّ عاقبته على الروم، ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه وقد سأل رجلاً ممن اتبعه كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين. قلت - القائل ابن كثير - وقد حاصر المسلمون قسطنطينية في زمان بني أمية فلم يملكوها ولكن فتحها المسلمون بعد ذلك، ولله الحمد والمنة.

وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده. (الحديث)، وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت وسيكون ما أخبر به جزمًا لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبدًا لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم فهذا لا يعود أبدًا.

وقال ابن كثير ج٦ ص١٩٦ بعد أن ذكر حديث الشيخين عن أبي هريرة وعن جابر بن سمرة قال: وقد وقع مصداق ذلك بعده

في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان استوثقت هذه الممالك فتحًا على أيدي المسلمين وأنفقت أموال قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس في سبيل الله، وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين وهي أن ملك فارس قد انقطع فلا عودة له وملك الروم للشام قد زال عنها فلا يملكونها بعد ذلك ولله الحمد والمنة.

وله دلالة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان والشهادة لهم بالعدل حيث أنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المرضي الممدوح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة ٤٢١: وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل فسار حتى بلغ بلاد حلب وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على مسيرة يوم منها وقد عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها وأن يستردها إلى دين النصرانية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. وقيصر هو من ملك الشام من الروم مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هذا، فلما نزل من حلب كما ذكرنا أرسل الله عليه عطشا شديدًا وخالف بين كلمتهم وذلك أنه كان معه الدمستق فعامل طائفة من الجيش على قتله ليستقل هو بالأمر من بعده ففهم الملك ذلك فكر من فوره راجعًا فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلاً ونهارًا وكان من جملة ما أخذوا أربعمائة فحل محجل محملة أموالاً وثيابًا للملك، وهلك أكثرهم جوعًا وعطشًا ونهبوا من كل جانب ولله الحمد والمنة. ج١٢ (ص٣٠، ٣١).

وذكر ابن كثير في حوادث سنة ٣١ قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد:

وذكر حوادث عدة في آخرها أنه لما قتل حمل ما كان عليه من الحلي إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وقال: وكان ملك يزدجرد عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وباقي ذلك هاربًا من بلد إلى بلد خوفًا من الإسلام وأهله، وهو آخر الفرس في الدنيا على الإطلاق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

في سنة ١٦ للهجرة النبوية المشرفة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه غزا سعد بن أبي وقاص بلاد الفرس فكان فتح بهرسير وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب، وقد خيرهم سعد فأبوا إلا القتال فقاتلهم المسلمون ونصبوا لهم المجانيق والدبابات وقد حلفت الفرس ألا يفروا أبدًا فأكذبهم الله وفروا بعد حصار شديد اشتد عليهم الأمر وضاقت بهم المعايش حتى أشرف رجل من الفرس على المسلمين فقال: يقول لكم الملك: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم، فأجابهم أبو مفزّر الأسود بن قطبة بكلام ألقاه الله على لسانه فوقع منه الرعب في قلوبهم فقال لهم: لا يكون بيننا وبينه صلح أبدًا حتى نأكل عسل أفريدين بأترج كوثي. فقال الملك: يا ويلاه إن الملائكة لتتكلم على ألسنتهم ترد علينا وتجيبنا عن العرب ثم أمر الناس بالرحيل إلى المدائن فركبوا السفن وعبروا دجلة.

فلما وقف المسلمون بساحل دجلة رأوا القصر الأبيض قصر الملك في المدائن الذي وُعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الله سيفتحه على أمته خطب سعد الناس وحثهم على القتال وبين لهم صعوبة المعركة وخطورة السكوت عن قتال الفرس، فانتدب للناس من يخوضون دجلة ليؤمنوا للناس الشاطئ الآخر وأمر عليهم عاصم بن عمرو فتقدم رجل من شجعانهم وقال: أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً»، ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: مجانين

مجانين، ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنسًا بل تقاتلون جنًا ثم أرسلوا فرسانا منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا أعين الخيل فارتدت الخيل ورجع الفرس ووقفت طليعة المسلمين على حافة دجلة ونزل بقية أصحاب عاصم فخاضوا الماء حتى وصلوا الجانب الآخر فقاتلوا معهم الفرس ثم نزل سعد ببقية الجيش حتى يمروا وسعد يقول: نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فاقتحم سعد والناس لم يتخلف منهم أحد وقد أوقع الله في قلوبهم الطمأنينة، فأميرهم سعد أحد العشرة المبشرين بالجنة دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أجب دعوته وسدد رميته»، والمقطوع به أن سعدًا دعا ربه لجيشه فاستجاب الله دعوته ولم يفقد لهم يومها شيء إلا قدحا لرجل دفعه الماء إليهم فردوه إلى صاحبه وكان سعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات.

فلما خرجوا من النهر وجدوا كسرى قد هرب بأهله وما استطاع من المال، ثم جاء سعد بالجيش أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الديوان مصلى، وتلا قوله تعالى: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ»، ثم تقدم فصلى ثماني ركعات بتسليمة واحدة، ثم أرسلوا السرايا في أثر كسرى يزدجرد فقتلوه وأخذوا أموالاً عظيمة وكنوزًا كثيرة أنفقت في سبيل الله تصديقًا لحديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث من دلائل النبوة وقوع الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث زال ملك كسرى عن العراق بل زال تمامًا وزال ملك الروم عن الشام وإن كانت أطماعهم لا تزال تمتد نحو بيت المقدس ويغتنمون غفلة المسلمون لينقضوا عليهم، والله لا يمكن للكافرين من رقاب المسلمين إلا بسبب غفلة المسلمين عن دينهم وتركهم لكتاب ربهم وهجرهم لسنة نبيهم فيكون الهوان واقعًا بهم، فمن هان عليه أمر ربه فعصاه هان هو على ربه فأسلمه وخذله، ومن عظم عنده أمر ربه فتمسك به وأطاعه وعمل به فانتهى عن المحارم واستغنى بالحلال عن الحرام والتزم الطاعات فاستوفى الفرائض واجتهد في تحصيل النوافل فإن الله تعالى يتولاه، ومن تولاه الله تعالى رفع عنه عدوه، ومكر بمن مكر به وخدع من خدعه وخذل من خذله ونصر من نصره فانظر كيف كان في شق البحر كيد لموسى وكيد بفرعون فنجى الله موسى وأهلك فرعون بكيده العظيم.

والله يعز من أعز دينه واعتز به ويذل من خذل دينه وينزله من جبروته وعلوه ويصيره عبدًا ذليلاً، فلا بد لنا أن نعتبر من الأمم السابقة وما أصابهم، فالأيام دول والله غالب على أمره، والله يحكم كونه فلا تفلت منه ذرة ولا يفلت منه أحد لحظة، فسبحان رب العالمين يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وتدبر في قوله تعالى في سورة القصص: «طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾» [القصص: ١- ٦].

وتدبر قوله سبحانه: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ» [النور: ٥٥-٥٧].

وهذه الأمم من حولنا عروش تزول وتتهدم، وأخرى تعلو وتتجبر، والله هو الملك الجبار، فمن لاذ بجنابه عز، ومن بعد عن دينه وهجر كتابه وعصى ربه ذل، والطريق بيِّن للسالكين فلا تغتر بكثرة الهالكين، ولا تستهن بقلة السالكين إلى ربهم، فكم من ملك ظن أن ملكه لا يبيد فأزال الله ملكه حال كان أعز ما يرى الناس ويحسبون، وكم من مستضعف رفعه الله تعالى فوق رقاب الجبارين، واعلم أن الآخرة أبقى فإن كان النعيم فهو المقيم العظيم وإن كان العذاب فهو الأليم الشديد، فاللهم نسألك عفوك وعزك ونصرك فبصرنا بدينك وأقمنا عليه إنك على كل شيء قدير. والحمد لله رب العالمين.

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بأرق التهاني القلبية، إلى فضيلة الشيخ الدكتور / محمد حسان، حفظه الله، وذلك لحصوله على درجة الدكتوراه، مع مرتبة الشرف، عن رسالته العلمية المقدمة بعنوان: «منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة الآخر»، من جامعة الأزهر الشريف.

وبهذه المناسبة تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية عامة، وأسرة تحرير مجلة التوحيد خاصة بأسمى التهاني، وأرق الأماني، ويتمنون لفضيلته دوام الرقي والنجاح.

والله الموفق.

رئيس التحرير

إشهارات

تم بحمد الله تعالى إشهار الفروع التالية:

١- فرع جمعية أنصار السنة المحمدية، دير سمالوط، محافظة المنيا، تحت رقم (٢٤٩٤) بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١م.

٢- فرع أنصار السنة المحمدية، فرع دموشيا، مركز بني سويف، محافظة بني سويف، تحت رقم (١٥٣٤) بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢١م.

٣- فرع أنصار السنة المحمدية، بالقلج، الخانكة، محافظة القليوبية، تحت رقم (١٨٧٧) بتاريخ ٢٠١٢/٤/٥م.

وذلك طبقاً لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م ولائحته التنفيذية. والله ولي التوفيق.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي يوم الأحد ٢٠١٢/١٢/١٢م الشيخ فتحي إبراهيم شكر، رئيس فرع المحلة الكبرى، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تدعو الله سبحانه أن يرحمه رحمة واسعة.

مهلاً أيها المغتاب

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين، وجعلهم إخوة متحابين متراحمين، على الخير متعاونين، وفي سبيل الفضائل متكاتفين، لألسنتهم وجوارحهم حافظين، وعن الغيبة والبهتان مبتعدين، وللفحش والزور مجتنبين، وعن أعراض إخوانهم ذابين ومدافعين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن أهم ما يميز المجتمع الإسلامي: أنه مجتمع مودة وتراحم، وتكاتف وتلاحم، ومحبة وتلاؤم، ولكن فيه من لا تحجزه مروءةٌ ولا يرده دين أو أدب، جرَّد لسانه معَراضًا للأعراض بكلمات تنضح فحشًا، وألفاظ تنهش نهشًا، يسرف في التجني على عباد الله بالسخرية واللمز، فهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ، وهذا أحمق، وذاك جهول، وكأنه قد وُكل إليه تجريحُ عباد الله، ويزدادُ الأمرُ وتَعظمُ البليةُ حين ترى عليه علاماتُ الوقار وعلامات الاحتشام، وسيما الوجاهة وهيئاتُ العلماء، ومع هذا المظهر الخداع، يَصُمُّ بالخوض في الباطل أذني جليسه، لا يدعُ لأصحاب فضل فضلاً، يحمل عليهم الحملات الشعواء أحياءً وأمواتًا، تُرى ما هذا الداء، إنه «داءُ الغيبة»، قلَّ أن تسلم منه المجالس.

ويندر أن ينفكَّ منه مجتمعٌ من المجتمعات، إلا من رحم ربي.

فالغيبة هي: الداء العضال، والسُّمُّ الذي في الألسن أحلى من الزُّلال، وقد جاء الإسلام بتحريم الغيبة تحريمًا قاطعًا، وقد جعلها من أُتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم مقارنة لقتل النفس، وغصب المال في الجرم والتحريم، فقال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ المسلم على المسلم حرامٌ، دمه، وماله، وعرضه». [مسلم: ٢٥٦٤].

وأعظمُ من ذلك وأجلُّ كلامُ ربنا عزَّ وجل: «وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» [الحجرات: ١٢].

فتأمل أخي المسلم -رحمك الله- هذا الأسلوب البليغ، في النهي المقرون بالمثال الذي يزيدُ الأمر شدةً وتغليظًا، والعمل تقبيحًا وتشنيعًا: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» [الحجرات: ١٢].

فإنَّ أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذر جبلةً وطبعًا، بل كيف إذا كان ميتًا وجيفةً؟



عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّه مرَّ على بغل مَيت فقال لبعض أصحابه: «لأن يأكل الرجلُ من هذا حتى يملأ بطنه، خيرٌ له من أن يأكل لحم رجل مسلم». [صحيح الترغيب: ٢٨٣٨].

فسبحان الله - ما أعظم خطر الغيبة وما أشنع جُرمها.

ويا سبحان الله، ما أكثر تساهل الناس بها اليوم، حتى لكأنها مائدةُ مجالسهم، والغيبة ذاتُ أسماء ثلاثة، كُلُّها في كتاب الله عزَّ وجل - الغيبةُ والإفكُ والبهتانُ، فإذا كان في أخيك ما تقولُ فهي الغيبة، وإذا قلت فيه ما بلغك عنه فهو الإفك، وإذا قلتَ فيه ما ليس فيه فهو البهتانُ.

وللمغتابينَ نسوقُ هذا الوعيد، قال صلى الله عليه وسلم: «يا معشرَ من آمَنَ بلسانه، ولم يدخل الإيمانُ قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تَتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه في بيته». [رواه أحمد: ٤/٤٢٠ وأبو داود وصححه الألباني].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لمَّا عُرج بي، مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم». [سنن أبي داود: ٤٨٧٨ وصححه الألباني]. ومعنى: يخمشون: يخدشون ويجرحون.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: بينا أنا أماشي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي، ورجل عن يساره، فإذا نحن بقبرين أمامنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، وبلى، فأيكم يأتيني بجريدة؟ « فاستبقنا، فسبقته، فأتيته بجريدة، فكسرها نصفين، فألقى على ذا القبر قطعة، وعلى ذا القبر قطعة، وقال: «إنه يهون عليهما ما كانتا رطبتين، وما يعذبان إلا في البول، والغيبة «. [صحيح الترغيب: ٢٨٤١].

وقال قتادة: ذُكرَ لنا أنَّ عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة.

وقال عمر رضي الله عنه: «عليكم بذكر الله، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس، فإنه داء».

ويقول بعض السلف: «الغيبة أشد من الزنا، قيل: وكيف؟ قال: الرجُل يزني ثم يتوبُ، فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه». [كتاب الصمت: ص١٦٤].



واغتاب رجلٌ آخر عند بعض السلف، فنهره، فقال: يا هذا، إياك وولوغ الكلاب. [الصمت: ص٢٩٩].

ويقولُ الحسن رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يشتغل بعيوب غيره، ويترك عيوب نفسه، فاعلم أنه قد مُكر به». [الصمت: ص١٩٨].

ويقولُ بعض السلف: أدركنا السلف الصالح وهم لا يرون العبادة في الصوم والصلاة فحسب ولكن في الكف عن أعراض الناس.

ويروى أن معروفًا الكرخي رحمه الله إذا اغتاب عنده أحدٌ قال: «يا هذا، اذكر الكَفَنَ والقطن والحنوط إذا وُضعن عليك». [سير أعلام النبلاء: ٣٤١/٩].

والسلوى لمن اغتابهم الناس: استفادتهم من حسناتهم، يُروى أنه لما بلغ الحسن البصري أن رجلاً اغتابه، أرسل إليه طبقًا من رطب، وقال له: «بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك - أي: بغيبتك لي - فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدرُ على مُكافاتك على التمام». [إحياء علوم الدين: ١٦٤/٣].

وقيل لبعض الصالحين: لقد وقع فيك فلانٌ حتى أشفقنا عليك ورحمناك، قال: عليه فاشفقوا، وإياه فارحموا.

وقال رجلٌ للحسن: بلغني أنك تغتابني؟ فقال: لم يبلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي.

وإذا بحثنا عن الأسباب والبواعث لهذا المرض الخطير، وجدناها لا تعدو: ضعف الإيمان، وقلة الوازع، وعدم الخوف من الله، فالذي يغتاب الناس يقول بلسان حاله: «أنا الكامل، والناسُ مخطئون، وأنا المحقق، والناس مبطلون، واعلم أخي الحبيب أنَّ المستمع للغيبة شريك للمغتاب، فقد قيل: إنَّ التصديق بالغيبة غيبةٌ، والساكتُ شريك للمغتاب، يقول ابن المبارك رحمه الله: «فِرَّ من المغتاب فرارك من الأسد».

وكان ميمونُ بن مهران لا يغتابُ أحدًا، ولا يدعُ أحدًا يغتابُ أحدًا عنده، ينهاه، فإن انتهى وإلا قام من المجلس.

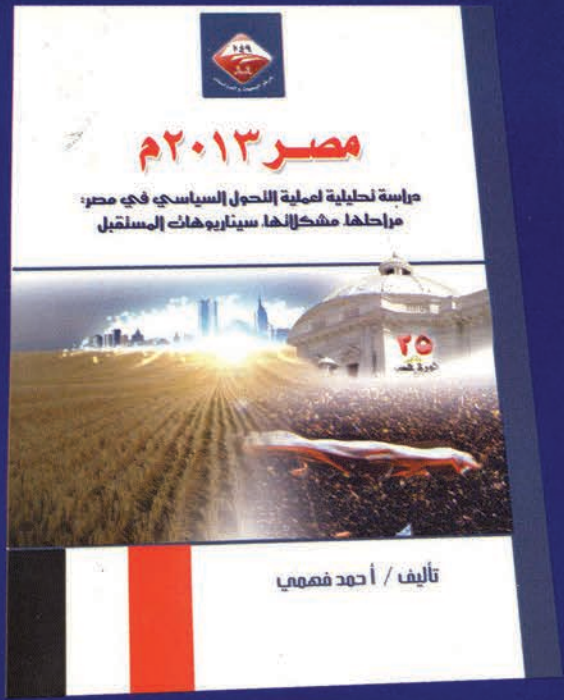
فيا ترى أين هو المؤمنُ القويُّ الذي يأبى أن يُغتاب أحدٌ في مجلسه؟ أين المؤمن الذي يأبى أن تسمع أذناه عيب أخيه المسلم. أين المؤمن الذي يريد أن يرد الله عن وجهه النار يوم القيامة؟

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن ردَّ عن عِرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة». [صحيح الترغيب: ٢٨٤٨].

وحسب المغتاب أنه بالغيبة مُتعرضٌ لسخط الله تعالى ومقته، وأنَّ حسناته تُنقل إلى المغتاب له، وإن لم يكن له حسناتٌ نقل إليه من سيئات خصمه، فمن استحضر ذلك لم تطلق لسانه بالغيبة، فيا أخي الحبيب: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك». [صحيح الترغيب: ٢٨٥٤]. وسارع في رد المظالم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة؛ حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». [مسلم: ٢٥٨٢]. وخذ بلسانك وقل: «يا لسان، قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم».

نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.



مصر ٢٠١٣م
دراسة تحليلية لعملية التحول السياسي في مصر:
مراحلها، مشكلاتها، سيناريوهات المستقبل
٢٥
تأليف / أحمد فهمي



التمويل الغربي
وشراء الفكر في العالم العربي
الدولة الإيرانية
محددات القوة وعوامل الضعف
النفوذ الإيراني الناعم
في القارة الافريقية
الخيارات السياسية
للتيارات السلفية
الحسبة السياسية والفكرية
حركة التغريب
الحوثية في اليمن
خلاصات استراتيجية
خلاصات استراتيجية